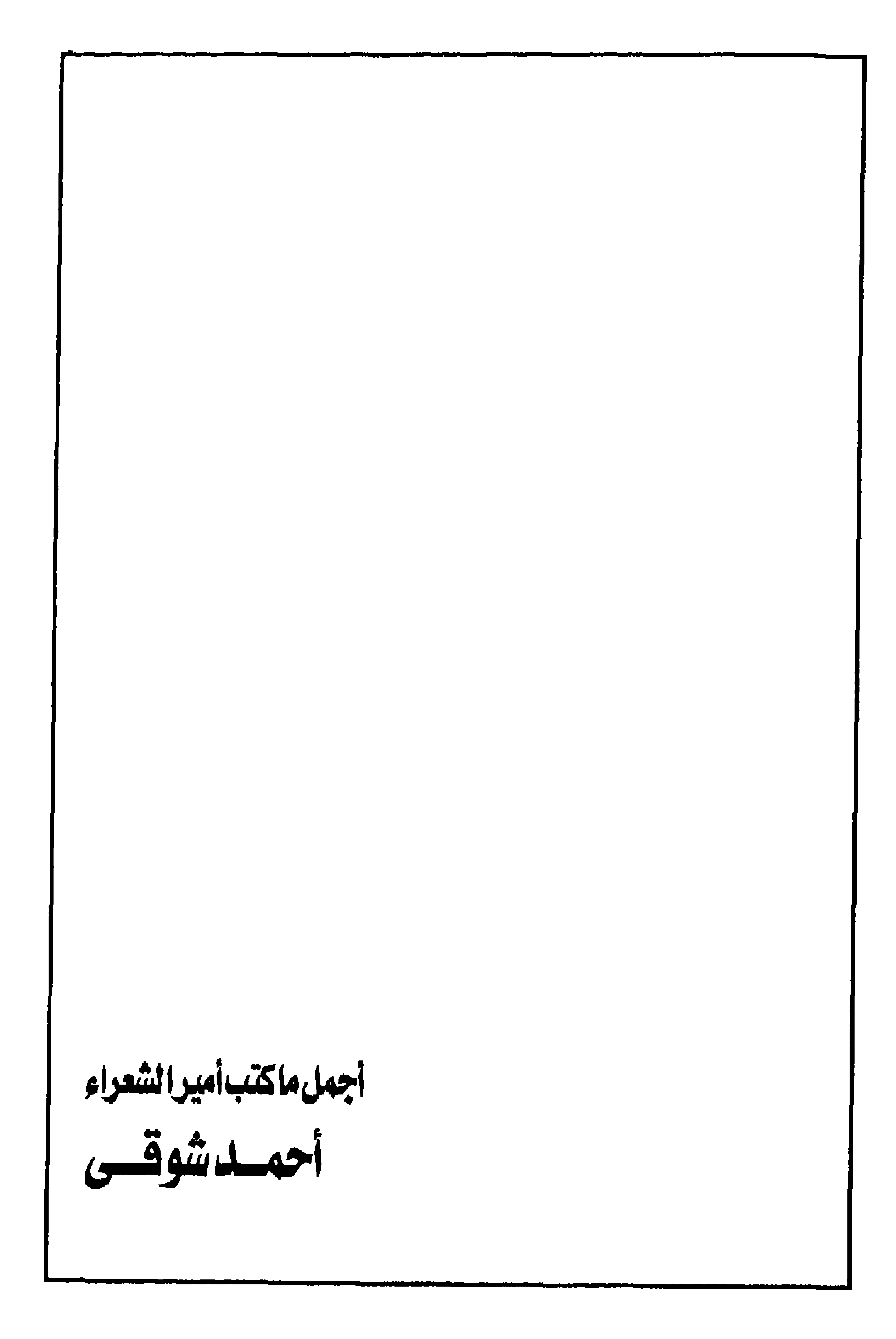
٢٠٠٢

مهرجان القراءة للجميع الروائع مكتبة الأسرة

أجمل ما كتب أمير الشعراء

أحمد شوقى





أجمل ما كتب أمير الشعراء

أحمد شوقي

شوقى للكبار

اسم العمل الفنى: شوقى

التقنية: تركيب ومزج بالكمبيوتر

المقاس: ٢٤ × ١٨ سم

بلغ فن تصوير الشخوص ذروته حين استطاع الفنان تسخير فرشاته بنجاح فى تسجيل التعبير المرسوم على الوجوه. وقد تجلى ذلك فى إضفاء الإحساس بالتجسيم تحت تأثير الظلال الساقطة على ملامح الوجوه، وتميز فن البورتريه بتخطى جزئيات الأشياء المرئية وعدم وقوفه عند المحسوسات المشاهدة، وعدم الانحصار فى الجزئيات المرئية؛ بل تجاوزها إلى ما وراء الشخوص موضوع الرسم سواء فى الثياب أو الحركات.

وفى لوحة الغلاف يمكننا رؤية امتداد فن البورتريه وتطوره، حتى صار للكمبيوتر اجتهاده فى إضافة العديد من القيم التشكيلية إلى الصور الفوتوغرافية.

محمود الهندى

أجمل ما كتب أمير الشعراء

أحمد شوقى

تقديم: د. محمد عنانى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الروائع)

أجمل ما كتب أمير الشعراء
أحمد شوقى

تقديم: د. محمد عنانى

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الفنان : صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

علي سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة باصدراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيبًا فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصدارتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة» .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

من شعره، سواء ما حفظناه صغاراً فى كتب المختارات، أو ما جرى مجرى الأمثال على الألسنة، أو ما أصبح جزءاً من تراثنا الفنى المصرى العربى.

وقد اقتضى ضيق المساحة اختصار بعض القصائد أو حذف إشارات إلى أحداث وأشخاص لم يعودوا بيننا لأنه ليس من السهل علينا إدراك مغزى تلك الاشارات الآن، وذلك دائما دون الإخلال بالقصيدة.

وبعد فنرجو أن نكون قد قدمنا إلى القارئ العربى فى كل مكان نماذج «ممثلة» لهذا الشاعر العبقرى، والله ولى التوفيق.

سمير سرحان

محمد عنانى

١ـ كبار الحوادث فى وادى النيل (*)

همَّتِ الفُلك واحتواها الماء ... وحَداها بمن تُقِلُّ الرجاءُ(١)
لُجةٌ عند لجةٍ عند أخرى ... كهضاب ماجت بها البيْداء
وجبالا موائجاً فى جبال ... تتدجَّى كأنها الظلماء(٢)
نازلاتٌ فى سيرها صاعداتٌ ... كالهوادى يهزهنَّ الحُداء(٣)
رب إن شئتَ فالفضاء مضيق ... وإذا شئت فالمضيق فضاء
فاجعل البحر عصمة وابعث الرحـ ... ـمة فيها الرياح والأنواء(٤)
أنت أنس لنا إذا بعُدَ الأنـ ... ـس وأنت الحياة والإحياء

* * *

(*) قالها فى المؤتمر الشرقى الدولى المنعقد فى مدينة جنيف فى سبتمبر سنة ١٨٩٤ وكان مندوبا للحكومة المصرية فيه.

(١) حدا الإبل، وحدا بها: ساقها وغنى لها. (٢) تدجى الليل: أظلم. (٣) الهوادى: أول رعيل من الإبل. الحداء: الغناء فى أثر الإبل. (٤) الأنواء: الأمطار.

يا زمانَ البحار لولاك لم تُفْـ | ـجَع بنُعْمى زمانها الوَجْناء(١)
فقديماً عن وَخْدِها ضاق وجه الـ | ـأرض وانقاد بالشِّراع الماء(٢)
وانتهت إمرة البحار إلى الشر | ق وقام الوجود فيما يشاء
وبنَيْنا فلم نُخَلَّ لِبانٍ | وعلونا فلم يَجُزنا علاء
وملكنا فالمالكون عبيد | والبرايا بأسرهم أسَراء
قل لبانٍ بنى فشاد فغالى | لم يجز مصر فى الزمان بناء
ليس فى الممكنات أن تنقل الأجبـ | ـال شُمَّا وأن تُنال السماء(٣)
أجْفل الجن عن عزائم فرعو | ن ودانت لبأسها الآناء(٤)
شاد ما لم يَشِدْ زمان ولا أنـ | ـشأ عصرٌ ولا بنى بنَّاء
هيكل تُنْثر الديانات فيه | فهى والناس والقرونُ هَباء
وقبورٌ تُحَطُّ فيها الليالى | ويُوارَى الإصباح والإمساء
تشفق الشمس والكواكب منها | والجديدان والبِلى والفناء(٥)
فاعذر الحاسدين فيها إذا لا | موا فصعبٌ على الحسود الثناء
زعموا أنها دعائمُ شِيدت | بيد البغى ملؤها ظلماء
أين كان القضاء والعدل والحكـ | ـمة والرأى والنُّهَى والذكاء

---

(١) الوجناء: الناقة الشديدة. (٢) وخدها: سيرها السريع وسعة خطوها. (٣) الأجبال: جمع جبل. والشم: جمع أشم، وهو المرتفع. (٤) أجفل: نفر وفر خائفاً. (٥) الجديدان: الليل والنهار.

وبنو الشمس من أعزَّة مصر | والعلوم التى بها يستضاء
إن يكن غيرَ ما أتوه فَخارٌ | فأنا منك يا فخار بَراء

* * *

لبثت مصر فى الظلام إلى أن | قيل مات الصباح والأضواء
لم يكن ذاك من عَمى، كلُّ عينٍ | حجب الليلُ ضوءها عمياء
وأتى الدهر تائبا بعظيم | من عظيم آباؤه عظماء
مَن كرمسيس فى الملوك حديثا | ولرمسيسٍ الملوكُ فداء(١)
بايعته القلوب فى صلب سيتى | يوم أن شاقها إليه الرجاء
واستعدَّ العبادُ للمولد الأكـ | ـبر وازَّينت لَه الغبراء
جَلَّ سيزوستريس عهدا وجلتْ | فى صباه الآياتُ والآلاء
فسمعنا عن الصبىِّ الذى يعـ | ـفو وطبعُ الصبا الغشوم الإباء
ويرى الناسَ والملوك سواءً | وهل الناس والملوك سواء
وأرانا التاريخ فرعونَ يمشى | لم يَحُل دون بشره كبرياء
يولد السيدُ المتوَّجُ غَضًّا | طهَّرتْه فى مهدها النعْماء(٢)

---

(١) هو رمسيس الثانى ابن سيتى الأول: أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة المصرية. ولى عرش مصر و هو صغير؛ واستمر حكمه من سنة ١٢٩٢ - ١٢٢٥ قبل الميلاد. ويعرف برمسيس الأكبر لما اكتسبه من الشهرة الفائقة التى جعلت كثيراً من الناس يزعمون أنه أعظم ملوك مصر. والذى كون له هذه الشهرة الكبيرة تلك المبانى العديدة التى شيدها فى جميع أنحاء البلاد.. (٢) الغض النضير.

فـــإذا مـــا الملّقـــون تولّوْ ... ه تولّى طبـاعَــه الخـيــلاء[1]

وسـرى فى فـؤاده زخـرفُ القـو ... ل تراه مـسـتـعـذبـاً وهو داء

فـــإذا أبيض الـهــديل غــراب ... وإذا ابْلَجُ الصـبـاح مَـســاء[2]

* * *

ربٍّ شُـقت العـبـاد أزمـان لا كـتْـ ... ـبُ بهـا يُهـتـدى ولا أنبـيـاء[3]

ذهبـوا فـى الهـوى مـذاهبَ شـتى ... جـمـعـتـهـا الحـقـيـقـة الزهراء[4]

فــإذا لَقّــبــوا قــويًا إلـهــا ... فله بالقُــوى إليك انتــهـــاء

وإذا آثروا جـــمـــيـــلا بتنزيـ ... ـه فـإن الجـمـال منك حِـبَـاء[5]

وإذا أنشــأوا التــمــاثيل غُــرًا ... فـــإليك الرمـــوز والإيماء[6]

* * *

سـجـدت مـصـر فى الزمـان لإيزيـ ... ـس النَّدى من لها اليد البيضاء[7]

إن تَلِ البَــرُّ فــالبـــلاد نضـــار ... أو تَل البـحـرَ فـالرياح رُخـاء[8]

---

(١) الخيلاء: العجب والكبر. (٢) الهديل: ذكر الحمام. وبلج الصباح أشرق وأنار. (٣) شاقه الحب إليه. هاجه والمراد بالكتب الكتب الإلهية التى تنزلت على الأنبياء. (٤) الحقيقة الزهراء هى وجود الله وتوحيده. ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين. فكانوا فى أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد. ورمزت له كل قبيلة برمز خاص، ثم رمزوا لصفات هذا الإله برموز صارت بعدئذ معبودات. عبدوا الكائنات الطبيعية التى لها تأثير محسوس فى حياتهم كالشمس والقمر والنيل. ثم اعتقدوا بحلول الآلهة فى أجساد الحيوان فعبدوا العجل (أبيس) والقط والكلب وما إلى ذلك. (٥) التنزيه: التقديس. والحباء: العطاء. (٦) الرمز والإيماء: الإشارة. (٧) إيزيس: إلهة من آلهة القدماء.. (٨) النضار: الذهب. ورخاء. أى لينة.

أو تل النفس فـهى فى كل عضـو ... أو تل الأفق فـهى فـيـه ذُكـاء[1]

قـيل إيزيس: ربة الكون لولا ... أن تَوحَّـدْتِ لم تك الأشـيـاء

واتخـذت الأنوار حـجْبا فلم تبـ ... ـصـرك أرض ولا رأتك سـمـاء

أنت مـا أظهـر الوجـود ومـا أخـ ... ـفى وأنت الإظهـار والإخـفـاء

مُـثِّلتْ للعـيـون ذاتُك والتـمـ ... ـثـيلُ يدنِى من لا لـه إدنـاء

وادَّعاك اليونان من بعد مصـر ... وتلاه فى حُـبك القـدمـاء

فـإذا قـيل مـا مـفـاخـر مـصـر ... قـيل منهـا إيزيسـهـا الغـرَّاء

* * *

ربَّ هذى عـقـولنا فى صِـبـاها ... نالها الخوف واستباها الرجاء

فـعـشـقناك قـبل أن تأتى الرُّسْـ ... ـل وقـامت بحـبك الأعـضـاء

واتخـذنا الأسـمـاء شـتى فلما ... جاء مـوسى انتـهت لك الأسـمـاء

ويريد الإله أن يُكْرَمَ العـقـ ... ـل وألا تحـقَّـر الآراء

مصر موسى عند انتماء وموسى ... مِـصـرُ إن كـان نسـبـةٌ وانتـمـاء

فـبـه فـخـرها المؤيَّد مـهـمـا ... هُزَّ بالسـيـد الكليم اللواء

* * *

وُلد الرفقُ يوم مـولد عـيسى ... والمروءاتُ والهـدى والحـيـاء

وازدهى الكون بالوليـد وضـاءت ... بسَناه من الثـرى الأرجـاء

---

(١) ذُكاء: من أسماء الشمس.

وســرت آية المسـيح كـمـا يسـ ـرى من الفجر فى الوجود الضياء
تملأ الأرض والعـــوالمَ نوراً فـالثـرى مـائج بهـا وضـاء
لا وعـيدٌ، لا صـولة، لا انتـقـام لا حـسـام، لا غـزوة، لا دمـاء
ملك جـاور التـرابَ فلمـا ملَّ نـابت عن التراب السـمـاء(١)
فـإذا الهـيكل المقـدَّس ديرٌ وإذا الـدير رونـق وبـهـاء
وإذا ثيـبـةٌ لعـيـسى ومنفـيـ ـسُ ونيلُ الثـراء والبطحـاء(٢)
إنما الأرضُ والفـضـاءُ لربى وملوك الحـقـيـقـة الأنبـيـاء
لهم الحبُّ خـالصـا من رعـايا هـم وكل الهـوى لـهم والوَلاء
إنمـا ينكر الديانـاتِ قـومٌ . هم بما ينكرونه أشـقـيـاء

* * *

أشـرق النور فى العـوالم لما بشـرتهـا بأحـمـدَ الأنبـاء
باليـتـيم الأمى والبـشَـر المو حَى إليـه العلوم والأسـمـاء
قـوَة الله إن تولت ضـعـيـفـاً تعـبت فى مِـرَاسـه الأقـوياء(٣)
أشـرف المرسلين، آيتـه النطـ ـق مُـبـينا، وقـومُـه الفـصـحـاء
أمـةٌ ينتـهى البـيـان إليـهـا وتـؤول العـلومُ والعـلمـاء

---

(١) يشير إلى رفعه إلى السماء. (٢) البطحاء: مسيل الماء فيه دقاق الحصى. (٣) المراس - هنا - بمعنى المأخذ والمعالجة.

جـــازت الـنـجمَ واطمــــأنت بأفْق مـطمـــــئنٌ بـه الـسَّنا والـسنـاء
كلمــــا حـــثَّت الركـــاب لأرض جـاور الرشـدُ أهلـهـا والذكـاء(١)
وعـلا الحق بينهم وسـمـا الفضـ ـل ونـالت حـقـوقَـهـا الضـعـفـاء
تحـــملُ النجمَ والوســيلةَ والميـ ـزانَ من دينهـــا إلى من تشـــاء
وتنيلُ الـوجـــود منـه نظـامــــا هـو طبُّ الـوجـــود وهـو الـدواء
يرجع الناسُ والعـصـورُ إلى مــا سنَّ والجـــاحـــدون والأعـــداء
فـيـه مـا تشـتـهى العـزائم إن هـ ـمَّ ذووها ويشـتـــهى الأذكـيـــاء
فلِمن حــاول النعـــيمَ نعـــيمٌ ولمن آثر الشـــقـــاء شـــقـــاء

* * *

(١) حث الركاب: أى حض الإبل على أن تسرع. والمراد كلما انتقلت لأرض.

٢ـ الهمزية النبوية

وُلد الهدى فالكائنات ضياءُ ... وفمُ الزمان تَبَسُّمٌ وثناءُ

الروح والملأ الملائك حَوْلَهُ ... للدين والدنيا به بُشَراء(١)

والعرش يزهو والحظيرة تزدهى ... والمنتهى والسِّدرة العصماء(٢)

والوحى يقطر سَلْسَلاً من سَلسل ... واللوح والقلم البديعُ رواء(٣)

* * *

يا خير من جاء الوجود تحيةٌ ... من مُرْسَلين إلى الهدى بك جاءوا

بك بَشَّر اللهُ السماء فزُيِّنَت ... وتضَوعت مسْكًا بك الغبراء(٤)

يومٌ يتِيهُ على الزمان صَبَاحه ... ومَساؤه (بمحمد) وضاء

والآى تَترَى والخوارقُ جَمَّة ... (جبريلُ) رَوّاح بها غَدّاء(٥)

---

(١) الروح الأمين: لقب جبريل. والملأ: الأشراف. والملائك: الملائكة. وبشراء: جمع بشير. (٢) يزهو: يشرق. وسدرة المنتهى: يقال إنها شجرة نبق على يمين العرش. (٣) الرواء: ماء الوجه وحسن المنظر. (٤) تضوع المسك: انتشرت رائحته. والغبراء: الأرض. (٥) تترى: تتولى: ورواح غداء أى يروح ويغدو.

بِسوى الأمانة فى الصبا والصدق لم ... يعــرفْــه أهل الصــدق والأمناء

يا من له الأخـلاق مـا تهـوى العـلا ... منهـا ومـا يَتـعـشَّقُ الكبـراء

لو لم نُقِمْ دينا، لقـامت وحـدها ... ديـنـا تُـضـيء بـنُـوره الآنـاءُ

زانتك فى الخلقِ العظيم شمـائلٌ ... يُغـرَى بهنَ ويولعُ الكُرمـاء

فـإذا سَخَـوتَ بلغت بالجـود المدى ... وفـعلت مـا لا تفـعلُ الأنواء(١)

وإذا عَـفـوْت فـقـادراً ومـقـدَّراً ... لا يسـتـهين بعـفـوك الجُـهـلاء

وإذا رحِـمْت فـأنت أم أو أب ... هذان فى الدنيـا همـا الرُّحَـمَـاء

وإذا خَطـبْت فللـمنـابـر هِـزّةٌ ... تعــرو النَّدِيَّ وللقلوب بكاء(٢)

وإذا قـضـيت فـلا ارتيـابَ كـأنما ... جاء الخصومَ من السماء قضاء

وإذا أخـذت العـهـد أو أعْطَيْـتَـه ... فـحـمـيعُ عـهـدا، [illegible]

* * *

يوحى إليك [illegible] ـورٌ فى [illegible] ـاته ... مـتـتـابعـاً تُجْلى به الظلمـاء

دين نُشـيَّـد آيةٌ فى آيةٍ ... لبناته السـورات والأضـواء

الحقُّ فـيـه هو الأسـاسُ وكـيف لا ... والله جل جـلالـه البنَّـاء

بك يا ابن عبدالله قـامت سمحـةٌ ... بالحقِّ من مِلَلِ الهدى غـراء(٣)

بُنيت على التوحيد وهو حقيقة ... نادى بهـا سُـقْـراطُ والقـدمـاء

---

(١) النوء: المطر. (٢) الندى: النادى. (٣) السمحة: الملة التى ليس فيها ضيق.

ومشى على وجه الزمان بنورها كهّانُ وادى النيل والعرفاء(١)
إيزيس ذات الملك حين توحدت أخذت قوام أمورها الأشياء(٢)
لما دعوت الناسَ لبى عاقل وأصَمَّ منك الجاهلين نداء
أبوا الخروجَ إليك من أوهامهم والناسُ فى أوهامهم سُجناء
ومِن العقول جداول وجلامِدٌ ومن النفوس حرائر وإماء(٣)
فرسمت بعدَك للعبادِ حكومةً لا سوقةٌ فيها ولا أمراء
الله فوقَ الخلق فيها وحدَهُ والناسُ تحت لوائها أكفاء
والدِّينُ يُسْرٌ والخلافةُ بيعةٌ والأمر شُورَى والحقوقُ قضاء
الاشتراكيون أنتَ إمامهم لولا دعاوى القوم والغُلواء(٤)
داويتَ مُتّئداً وداوَوْا طَفْرَةً وأخفُّ من بعض الدواء الداء(٥)
الحربُ فى حقٍّ لديك شريعةٌ ومن السُّمومِ الناقعاتِ دواء(٦)
والبِرُّ عِندكَ ذِمَّةٌ وفريضةٌ لا مِنَّةٌ ممنونة وجباء(٧)
جاءت فوحَّدَت الزكاة سبيله حتى التقى الكرماءُ والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حقِّ الحياة سواء
فلو ان إنساناً تخيَّرَ ملةً ما اختار إلا دينك الفقراء

---

(١) العراف: المنجم، والجمع عرفاء. (٢) إيزيس: من آلهة المصريين القدماء. (٣) الجدول: النهر الصغير، والجلمود: الصخر. (٤) الغلواء: الغلو. (٥) متئدا: متأنيا، وطفر: وثب. (٦) الناقعات: القاتلات. (٧) البر: الإحسان، وذمة: عهد، والمنة: العطية، والممنونة: المتبوعة بالمن.

يا مَنْ لهُ عِـزُّ الشـفـاعـةِ وحـدهُ وهُو المنَزّهُ مـاله شُـفـعـاء

عـرشُ القـيـامَـة أنتَ تحت لوائه والحْـوضُ أنت حـيـالهُ السقّـاء

تروى وتسـقى الصـالحين ثوابهم والصـالحـات نخـائر وجـزاء

ألمثل هذا ذُقتَ فى الدنيـا الطّوى وانـشَـقَّ مِـن خـلـقٍ عـلـيكَ رداء

لى فى مـديحك يا رسُـولُ عـرائسُ تُيِّـمن فـيك وشـاقـهُنّ جَـلاء(١)

هُن الحـسـانُ فـإن قـبلْت تكرمـاً فـمـهُـورُهُنّ شَـفـاعَـةٌ حَـسناء

أنت الذى نَظمَ البـرِيّة دينُهُ مـاذا يَقـول ويَنظم الشـعـراء

المُصلحِـون أصـابعٌ جُـمِـعت يداً هى أنت بَل أنت اليَـد البـيـضـاء

مـا جئتُ بابكَ مـادحـا بل داعـيـاً ومن المديـح تضَـرُّعٌ ودعـاء

أدعُوك عن قومى الضّـعـافِ لأزمةٍ فى مـثلهـا يلقى عليك رجـاء

أدرى رسُـولُ اللهِ أن نفـوسَـهم ركـبـت هَواها والقلوب هـواء

مُـتـفككون فـمـا تضم نفـوسُـهم ثقـةٌ، ولا جَـمع القلوب صـفـاء

رقـدُوا وغـرَّهُمُ نعـيمٌ باطلٌ ونعـيمُ قـومٍ فى القـيُـود بلاء

* * *

(١) شاقة الحب: هاجه.

٣ـ بعد المنفى (*)

أنادى الرسم لو ملك الجوابا ... وأجزيه بدمعىَ لو أثابا [١]

وقَلَّ لحقه العبراتُ تجرى ... وإن كانت سوادَ القلب ذابا

سبقن مقبلات الترب عنى ... وأدّينَ التحيةَ والخطابا

نثرتُ الدمع فى الدِّمن البوالى ... كنظمى فى كواعبها الشبابا [٢]

وقفتُ بها كما شاءت وشاءُوا ... وقوفاً علَّمَ الصبرَ الذَّهابا

لها حقٌ وللأحباب حقٌ ... رشفت وصالهم فيها حُبابا [٣]

ومن شكرَ المناجِم محسِناتٍ ... إذا التبرُ انجلى شكر الترابا

وبين جوانحى وافٍ ألوفٌ ... إذا لمح الديار مضى وثابا

(*) كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس، وقد أشاد فيها بذكر تلك البلاد شكراً لها وعرفانا بجميلها. ثم انتقل إلى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة، وعرج على مسألة التموين التى كانت حينئذ شغل البلاد الشاغل . وقد أنشدت هذه القصيدة فى اجتماع لجان التموين (بالأوبرا الملكية سنة ١٩٢٠). (١) الرسم: ما كان لاصقا بالأرض من آثار الدار. (٢) الدمن آثار الديار. والكواعب من الجوارى: ناهدات الثدى. والمراد بهاهنا الديار قبل أن تستحيل إلى دمن. (٣) رشف الماء: مصه بشفتيه. والحباب: الحبب.

رأى مَـيْل الزمـان بهـا فكانت	على الأيام صـحـبتُـه عـتـابا
ويا وطنى لقـيـتُكَ بعـد يأسٍ	كـأنى قـد لقـيت بك الشـبـابا
وكلُّ مـسـافـرٍ سيـؤوب يومـاً	إذا رُزِقَ السـلامـة والإيابا
ولـو أنى دُعـيتُ لـكنتَ دِينى	عليـه أقـابل الحـتمَ المجـابا[1]
أدير إليك قـبل البـيت وجـهى	إذا فـهتُ الشـهـادةَ والمتـابا
شـبـاب النيل: إن لكم لصـوْتاً	ملبًّى حـسين يُرفعُ مـسـتـجـابا
فـهُزُّوا (العـرشَ) بالدعـوات حـتى	يخـفِّفَ عن كنانتـه العـذابا
أمن حـرب البَسـوسِ إلى غَـلاءٍ	يكاد يعـيدُها سبـعـا صِعـابا؟
وهل فـى القـومِ يوسف يتـقـيـهـا	ويُحسنُ حِسْبةً ويرى صـوابا؟[2]
عـبـادك ربِّ قـد جـاءوا بمصـر	أنيـلا سُـقْتَ فـيـهم أم سـرابا
حنانك واهدِ للحـسنى تجـارا	بهـا ملكوا المرافِق والرقـابا
ورقّقْ للفـقـيـر بهـا قلوباً	مـحـجَّـرةً وأكـبـاداً صـلابا
أمن أكلَ اليـتـيم له عـقـابٌ	ومن أكل الفـقـيرَ فـلا عـقـابا؟
وتسـمعُ رحـمـةً فى كل نادٍ	ولست تحسُّ للبـرِّ انتـدابا
أكلٌّ فـى كـتـاب اللـه إلا	زكـاةَ المالِ ليـست فـيـه بابا
إذا مـا الطاعـمون شكوْا وضجُّـوا	فدعهُم واسمع الغرثى السِّغابا[3]

---

(١) دعيت إلى الموت: نوديت. والحتم المجاب: هو الموت. (٢) الحسبة: الاحتساب. (٣) الغرثى: جمع غرثان. وهو الجائع والسغاب: جمع ساغب، وهو الجائع أيضا.

٤ـ سلوا قلبى

سلوا قلبى غداةَ سلا وثابا لعلَّ على الجمالِ له عِتابًا
ويُسألُ فى الحوادثِ ذو صوابٍ فهل ترك الجمالُ له صوابا؟
وكنتُ إذا سألتُ القلبَ يومًا تولَّى الدمع عن قلبى الجوابا
ولى بين الضلوع دمٌ ولحمٌ هما الواهى الذى ثَكِلَ الشبابا(١)
تسرَّب فى الدموع فقلتُ ولَّى وصفَّق فى الضلوعِ فقلت ثابا(٢)
ولو خُلِقتْ قلوبٌ من حديد لما حَملتْ كما حَمل العذابا
ولا يُنبيك عن خُلُقِ الليالى كمن فقد الأحبة والصِّحابا
أخا الدنيا، أرى دنياكَ أفعى تُبدِّل كل آونةٍ إهابا
وأن الرُّقط أيقظ هاجعاتٍ وأترع فى ظلالِ السِّلم نابا(٣)

---

(١) الواهى: الضعيف. وثكل الشباب: فقده. والمقصود بالدم واللحم هنا القلب. (٢) ثاب: رجع بعد ذهاب. (٣) الرقط: جمع رقطاء، وهى الحية على جلدها سواد مشوب بالبياض: وأترع: أسرع إلى الشر.

ومن عجب تُشيِّب عاشقيها ... وتُفنيهم وما بَرِحت كَعابا(١)
فمن يغترُّ بالدنيا فإنى ... لبستُ بها فأبليتُ الثيابا
جنيتُ بروضِها وردا وشوكا ... وذقت بكأسِها شُهْداً وصابا
فلم أر غير حكم الله حكماً ... ولم أر دون باب الله بابا
ولا عظَّمْتُ فى الأشياء إلا ... صحيحَ العلم، والأدبَ اللُّبابا(٢)
ولم أر مثل جمع المالِ داءً ... ولا مثلَ البخيلِ به مُصابا
فلا تقتلك شهوته، وزنها ... كما تزنُ الطعامَ أو الشرابا
وأن البرَّ خيرٌ فى حياةٍ ... وأبقى بعد صاحبه ثوابا
وسَوَّى الله بينكمُ المنايا ... ووسَّدكُم مع الرسْلِ الترابا(٣)
وأرسلَ عائلا منكم يتيما ... دنا من ذى الجلال فكانا قابا(٤)
نبىُّ البرِّ بَيَّنه سبيلا ... وسنَّ خلاله وهَدى الشِّعابا(٥)
تفرق بعدَ عيسى الناسُ فيه ... فلما جاء كان لهم مَتابا(٦)
وشافى النفس من نزَغاتِ شرٍّ ... كشافٍ من طبائعها الذئابا(٧)
وكان بيانه للهدْىِ سُبْلا ... وكانت خيلهُ للحق غابا
وعَلَّمنا بناءالمجد حتى ... أخذنا إمرةَ الأرض اغتصابا

(١) الكعاب: الجارية الناهد. (٢) اللباب: المختار الخالص. (٣) سوى: جعلكم منها سواء. (٤) عائلا: فقيرا. وقاب القوس: ما بين المقبض والسية، والمراد أنه كان قريبا. (٥) الشعاب: الطرق. (٦) الضمير فى (فيه) يعود على البر. (٧) النزغات: الوساوس.

وما نيلُ المطالب بالتمنى ... ولكن تؤخذُ الدنيا غِلابا(١)

وما استعصى على قومٍ منالٌ ... إذا الإقدام كان لهم رِكابا

* * *

تجلى مولد الهادى وعمت ... بشائرهُ البوادىَ والقصابا(٢)

وأسدَتْ للبرية بنت وهبٍ ... يداً بيضاء طوَّقتِ الرقابا(٣)

لقد وضعته وهاجا منيراً ... كما تلِدُ السماواتُ الشّهابا(٤)

فقام على سماء البيتِ نوراً ... يضىء جبالَ مكة والنِّقابا(٥)

وضاعت يَثْرِبِ الفيحاء مسكا ... وفاحَ القاعُ أرجاءً وطابا(٦)

أبا الزهراء قد جاوزتُ قدرى ... بمدحك بَيْدَ أن لىَ انتسابا

فما عرفَ البلاغة ذو بيان ... إذا لم يتخذك له كتابا

مدحتُ المالكين فزدتُ قدراً ... فحين مدحتُك اقتدتُ السحابا

سألت الله فى أبناء دينى ... فإن تكن الوسيلة لى أجابا

وما للمسلمين سواك حصنٌ ... إذا ما الضرُّ مسَّهُم ونابا

* * *

---

(١) غلابا: قهرا. (٢) القصابا: جمع قصبة، وهى المدينة. (٣) بنت وهب: السيدة آمنة، أمه صلى الله عليه وسلم. (٤) الشهاب: الكوكب. (٥) نقاب: جمع نقب، وهو الطريق فى الجبل. (٦) ضاع المسك: تحرك فانتشرت رائحته.

٥ ـ أيها العمال

أيهـــا العــــمــــالُ أفنوا الـ ـ عـمـــر كــداً واكــتــســـابا
واعـــمـــــروا الأرض فلولا ســــعــيكم أمـــست يبـــابا
إن لى نصــــحـــا إليكم إن أذنتم وعــــــتـــــــابا
فى زمــــان غـــبى النا صحُ فـــيــــه أو تـغـــابى
أين أنـتـم مـن جـــــدود خلدوا هـذا الـتــــــرابا؟
قـــلـــدوه الأثـــر المــعــ ـجـــز والفن العـــجـــابا
وكـســـــــوه أبد الدهـ ـر من الفـــخـــر ثيـــابا
أتقنوا الصنـــعـــة حـــتى أخـــذوا الخلد اغـــتـــصـــابا
إن للمـــتــــقن عند الله والــــنـــاس ثـــوابــــا
أتقنوا يحـــبــــبكم اللـ ويرفــــــعكم جـنـابـا
أرضـــيــتم أن ترى (مـــصــ ـر) من الفنّ خـــــرابا؟
بعـــد مـــا كـــانت ســـمـــاء للصـنـاعـــات وغـــابـا

٦ - إلى عرفات

إلى عـرفـات الله ياخـيـر زائر عليك سلامُ الله فى عرفاتِ (١)
ويومى تُولىَّ وجهـةَ البيت ناضـرا وسيمَ مجال البشر والقسمات (٢)
على كل أُفقٍ بالحجاز ملائكٌ تَزُفُّ تحايا اللهَ والبركات (٣)
لدى (الباب) جبريلُ الأمين براحه رسائلُ رحمانيةُ النفحات (٤)
وفى الكعبة الغرّاء ركنٌ مرحِّبٌ بكعبة قُصاد وركن عفاة (٥)
وما سكب الميزابُ ماءً وإنما أفاض عليك الأجر والرحمات (٦)

---

(١) عرفات : اسم موضع وقوف الحاج، على مقربة من مكة وهو اسم واحد فى صورة الجمع
(٢) تولى وجهة البيت: تستقبلها. والجهة: المكان الذى يستقبله الإنسان. ناضرا من النضرة: وهى الحسن. وسيم: جميل. مجال البشر، والمراد الوجه والبشر: طلاقة الوجه. القسمات: جمع قسمة: وهى الوجه، وقيل مابين الوجنتين والأنف. (٣) الأفق: الناحية ملائك جمع ملك. التحايا: جمع تحية (٤) جبريل: هو أمين الوحى والراح: جمع راحة وهى الكف (٥) مرحب: من رحب به : قال له مرحبا وقصاد: جمع قاصد وعفاة: جمع عاف، وهو طالب المعروف (٦) سكب الماء: صبه. الميزاب، ويقال له مئزاب ومرزاب ومزراب: ما يسيل منه الماء من مكان عال. قالوا: ومنه ميزاب الكعبة: أى مصب ماء المطر من فوقها، وهو المراد هنا أفاض : أفرغ .

و (زمزمٌ) تجرى بين عينيْك أعيناً　　من الكوثر المعسول مُنفجرات (١)

ويرمون إبليس الرجيم فيصطلى　　وشانيك نيراناً من الجمرات (٢)

لك الدينُ يارب الحجيج جمعتهم　　لبيت طهور الساح والعَرصات (٣)

أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة　　إليك انتهوْا من غربةٍ وشتات (٤)

تساووْ فلا الأنسابُ فيها تفاوتُ　　لديك ولا الأقدارُ مختلفات

ويارب هل تغنى عن العبد حَجَّةٌ　　وفى العمر مافيه من الهفوات

وتشهد ما آذيتُ نفساً ولم أضر　　ولم أبغ فى جَهرى ولا خطراتى (٥)

ولا غلبتنى شقوةٌ أو سعادةٌ　　على حكمة آتيتَنى وأناة (٦)

ولا جال إلا الخيرُ بين سرائرى　　لدى سُدَّة خيريَّةِ الرغبات(٧)

ولابت إلا كابن مريمَ مشفقاً　　على حُسَّدى مستغفراً لعداتى(٨)

---

(١) زمزم بئر عند الكعبة والكوثر نهر فى الجنه، والكثير من الماء والمسول: الحلو. (٢) إبليس: علم جنس للشيطان. والمرجوم، وهو المطرود والملعون والمرجوم بالحجارة. ويصطلى نيرانا : يحترق بها. والشانئ: المبغض. والجمرات: الحصيات، واحدتها جمرة.. (٣) الحجيج جمع حاج. وهم الحجاج. والساح جمع ساحة، وهى ساحة الدار، والعرصات جمع عرصة، وهى البقعة بين الدور ليس فيها بناء. (٤) الأصناف الأنواع والغربة الاغتراب والشتات المتفرق. (٥) وتشهد أنت يارب ما آذيت نفسا أى أصل إليها بأذى ولم أضر لم افعل ما يضر ولم ارتكب البغى. والجهر العلانية والخطرات واحدتها خطرة، وهى ما يلوح للانسان فى فكره (٦) الشقوة ضد السعادة. والحكمة العدل والحلم، وقيل ما يمنع الجهل، وقيل هى كل كلام وافق الحق، وقيل هى وضع الشئ فى موضعه وصواب الأمر وسداده والأناة الحلم. (٧) جال طاف غير مستقروالسرائر جمع سريرة، وهى ما أسره الإنسان من امره والسدة الباب (٨) ابن مريم عيس عليه السلام. ومشفقا على حسدى حريصا على صلاحهم، والحسد جمع حاسد، مستغفراً لعداتى طالباً لهم المغفرة، والعداة جمع عدو.

ولا حُـمِّلَتْ نفس هوًى لبـلادها ... كنفسـى فى فـعلى وفـى نفـثـاتى (١)

وإنـى ولا مـنٌّ عـلـيـك بـطـاعــة ... أُجِلُّ وأغلى فى الفـروض زكـاتى (٢)

أبالـغ فـيـهـا وهى عـدلٌ ورحـمـة ... ويتـركُـهـا النسَّـاك فى الخلوات (٣)

وأنت ولىُّ العـفـو فـامحُ بناصـع ... من الصـفح مـا سوَّدتُ من صفحـاتى (٤)

ومن تضـحك الدنيا إليه فيـتـغترْ ... يمت كـقـتيل الغـيـد بالبَسـمـات (٥)

* * *

وركب كـإقـبـال الزمـان مـحَـجلٍ ... كريم الحواشى كـابر الخطوات (٦)

يسـيـر بأرض أخـرجت خـيـر أمـة ... وتحت سـمـاء الوحى والسـورات (٧)

يفـيض عليـهـا اليمن فى غـدواته ... ويُضْفى عليها الأمن فى الرَّوحات(٨)

* * *

---

(١) الهوى الحب، والنفثات جمع نفثه، تطلق على الشعر بتعداد الصنائع. (٢) وأجل زكاتي أعظمها، وأغليها أجعلها غالية، والفروض ما فرضه الله من العبادات الخمس، والزكاة احد هذه الفروض (٣) أبالغ فيها من بالغ فى الامر اجتهد فيه ولم يقصر والنساك جمع ناسك، وهو العابد المتزهد فى الخلوات متعلق بالنساك (٤) ولى العفو أى متوليه وصاحبة والعفو ترك العقوبة والإعراض عن المؤاخذة ا مح أزل والناصع الخالص الصافى والصفح ترك الشئ والإعراض عنه (٥) يغتر يخدع بالشئ ويظن به الأمن فلا يتحفظ والغيد جمع غيداء، وهى المرأة الطويلة العنق، والتى تنثنى لينا، والتي لطفت بشرتها وكمل حسنها. والبسمات واحدتها بسمه، وهى الضحكة من غير صوت (٦) المحجل من الخيل ما فى قوائمه بياض. والمعنى ركب مطاياه محجلة، أو هو محجل ويكون المراد مشرق مضئ على سبيل المجاز، كقولهم يوم أغر محجل والحواشي: الجوانب والنواحي. والكابر: الرفيع الشأن (٧) يسير بأرض يريد أرض الحجاز ويريد بخير أمة العرب خاصة والمسلمين عامة والوحي: أصلة كل ماالقتيه إلى غيرك، ثم غلب على مايلقى للأنبياء من عند الله والسورات هى سورات القرآن: جمع سورة. (٨) يفيض يسيل . واليمن الخير والبركة والغدوات جمع غدوة، وهى المرة من الغدو والرواح على إطلاقها الذهاب والمجئ فى أى وقت وضمير (عليه)للارض فى البيت السابق

إذا زرت يامولاى قبر محمد وقبلت مثوى الأعظم العطرات (١)
وفاضت مع الدمع العيون مهابة لأحمد بين الستر والحجرات (٢)
وأشرق نور تحت كل ثنية وضاع أريج تحت كل حصاة (٣)
لمظهر دين الله فوق تنوفة وبانى صروح المجد فوق فلاة (٤)
فقل لرسول الله: ياخير مرسل أبثك ماتدرى من الحسرات (٥)
شعوبك فى شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف فى عميق سبات (٦)
بأيمانهم نوران : ذكر وسنة فما بالهم فى حالك الظلمات (٧)
وذلك ماضى مجدهم وفخارهم فما ضرهم لو يعملون لآتى؟ (٨)
وهذا زمان أرضه وسماؤه مجال لمقدام كبير حياة (٩)

---

(١) إذا زرت يامولاى الخطاب للخديوى والمثوى المقام والأعظم جمع عظم. والعطرات المتطيبات بالعطر (٢) فاضت سال ماؤها والمهابة الخوف والتوقير. وأحمد اسم النبى أيضا الستر ما يستر به والحجرات جمع حجرة ، وهى البيت الصغير فى الدار. (٣) الثنية طريق العقبة. وضاع فاح والأريج الرائحة الطيبة (٤) مظهر دين الله معلنه والجاهر به والتنوفة المفازة وهى الأرض الواسعة البعيدة الأطراف والصروح جمع صرح، وهو القصر وكل بناء عال. والفلاة أى الصحراء القفر الواسعة (٥) أبثك أطلعك وما تدرى ما تعلم والحسرات جمع حسرة وهى اشد التلهف على الفائت (٦) شعوبك جمع شعب، وهو القبيلة العظيمة من الناس والكهف البيت الواسع المقور فى الجبل والعميق البعيد الغور والسبات النوم (٧) ايمانهم جمع يمين، وهى الجهة المضادة لليسار والجارحة أيضا وهى المرادة؛ والمعنى معهم نوران ... الخ والذكر القرآن والسنه الشريعة، وقد تطلق عند الفقهاء على جملة أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم. والبال الحال والشأن، اى ماذا غير حالهم حتى صاروا فى الظلمات الحالكة. والحالك، الشديد السواد والظلمات جمع ظلمة وهى ذهاب النور (٨) المجد العزو الرفعة، والفخار المباهاة بالمناقب والمكارم . (٩) المجال مكان الجولان، وهو الطوف فى غير استقرار. والمقدام اصلة الكثير لإقدام على العدو والمراد هنا الكثير لاقدام على عظائم الأمور.

مشى فيه قوم فى السماء وأنشأوا بوارجَ فى الأبراجِ ممتنعـــات (١)

فــــقل ربٍّ وفِّقْ للعظائم أمــتى وزين لها الأفعالَ والعـزمات (٢)

(١) مشى فيه أى فى هذا الزمان وأنشأوا أحدثوا. وبوارج جمع بارجة، وهى سفينة كبيرة للقتال والابراج جمع برج، وهو فى السماء بابها، وقيل منزلة القمر؛ وقيل الكوكب العظيم وممتنعات محتميات والمعنى أن قوما ما بلغوا من العزة فى هذا الزمان أن مشوا فى جو السماء، يريد طاروا فيه وأنشأوا طيارات ترفع حتى تكاد تصل إلى السماء (٢) وفق للعظائم امتى الهما إياها والعظائم جمع عظيمة، وهى ما عظم من الأمور. وزين لها الافعال اجعلها زينة عندها، اى غير شينة والعزمات جمع عزمة، وهى الثبات والصبر فيما يعزم عليه.

٧ ـ المرأة الجديدة

قُم حَيِّ هذى النيراتِ ... حيِّ الحسانَ الخيرات
واخفضْ جبينَك هَيبةً ... للخُرَّد المتخفرات (١)
زيْن المقاصِر والحجا ... ل وزيْن محرابِ الصلاة (٢)
هذا مقامُ الأمّهـا ... ت، فهل قدَرت الأمهات؟
لا تلغ فيه ولا تقلْ ... غير الفواصل محكمات (٣)
وإذا خطبتَ فلا تكن ... خَطْباً على مصرَ الفتاة
اذكر لها اليابان لا ... أمم الهوى المتهتِّكات
ماذا لقيتَ من الحضا ... رة يا أخيَّ الترهات (٤)

---

(١) الخرد: العذارى، والمتخفرات: المستحييات، (٢) الزين ضد الشين، والمقاصر جمع مقصورة، وهى إما الدار الواسعة المحصنة أو الحجرة من حجر الدار، والحجال جمع حجل وهو الخلخال (٣) لا تلغ: لا تقل باطلاعن غير روية وفكر. والفواصل : جمع فاصلة، وهى من السجع بمنزلة القافية من الشعر. (٤) الترهات : الطرق الصغار تتشعب عن الجادة، واحدتها : ترهة، ثم استعيرت للباطل .

لم تَلق غـــيـــر الرق من	عُـســر على الشــرقى عــات
خــذْ بـالكتــاب وبالحــديـ	ـث وسـيـرة السلف الثـقـات (١)
وارجــع إلــى سُــنن الخـلـيـ	ـقـــة واتبعْ نُظُم الحـــيـــاة
هــذا رســــــول الـلـه لـم	ينـقـص حـــقــــوق المؤمـنات
العلمُ كـــان شــــريـعـــةً	لنســائه المتـــفــقـــهـــات (٢)
رضْن التــجــارة والســيــا	ســة والشــؤون الأخــريات (٣)
ولـقـــــــد عـلـت بـبـنـاتـه	لُـجـج الـعـلـوم الـزاخــــرات
كــــانت سـكـيـنـةُ تمـلأ الـد	نيـــا وتـهـــزأ بـالـرواة (٤)
روت الحـــديثَ وفـــســــرتْ	آى الـكـتـــاب الـبـــيـنـات
وحـــضـــارةُ الإســـلام تنـ	ـطق عن مـكـان المسلمـــــات

(١) الثـقـات: جـمع ثقة، والثـقـة الموثـوق به؛ ويوصف به المفـرد غـيـر المـفـرد والمـذكر والمؤنث
(٢) المتفقهات: من تفقه أى تعلم الفقة وتعاطاه والفقه : هو علم الدين، أو من تفقه فى العلم : إذا تعلمة. (٣) رضن: من راض الشئ : ذلله وجعله مطيعا (٤) سكينة: هى بنت الحسين بن الإمام على وحفيدة الرسول الله عليه وسلم.

٨ـ الجــــلاء *

بأبى وروحى الناعماتِ الغِيدا ... الباسماتِ عن اليتيمِ نضيدًا(١)
الرانيــاتِ بكلِّ أحــورَ فـــاترٍ ... يذرُ الخَلِيَّ من القلوب عميدا(٢)
الراوياتِ من السُّلاف محاجراً ... الناهلاتِ ســوالفًـا وخـدودا(٣)
اللاعباتِ على النسـيم غدائرًا ... الراتعـات مع النسـيم قُـدودا(٤)
أقْبَلْنَ فى ذهب الأصيلِ ووَشْيه ... مِلْءَ الغــلائلِ لؤلؤًا وفــريدا(٥)

(*) فى وزارة سعد زغلول باشا سنة ١٩٢٤ أطلق سجناء كانت المحاكم العسكرية الإنجليزية قد أدانتهم فى مؤامرة شاع يومئذ أنها مبالغ فيها.

قد احتفل شباب بنجاة إخوانهم، فرجوا صاحب الديوان أن يشاركهم فى هذا الاحتفال فنظم هذه القصيدة مشيرا فيها إلى أهم ماكان يشغل بال الناس فى ذلك العهد من الحوادث.

(١) بأبى وروحى، أى أفتدى بهما. والغيد، جمع غيداء، وهى الجارية اللينة الأعطاف. واليتيم من كل شئ: مالانظير له، وهنا الأسنان. والنضيد: المنضود المتسق. (٢) الرانيات. اللاتى يدُمن النظر بطرف ساكن. والأحور، من الحور: وهو شدة سواد العين فى شدة بياضها. والعميد من القلوب: ما هدّه العشق (٣) السلاف: أطيب الخمر، ويراد به هنا سحر العيون والناهل: الريان. والسوالف: صفحات الأعناق (٤) الغدائر: جمع غديرة، وهى الذؤابة من الشعر. والقدود: جمع قد وهو القامة. (٥) الوشى: النمنمة والتحسين. والغلائل: الأثواب الرقيقة. والفريد الدر المنظوم.

حوت الجمالَ فلو ذهبتَ تزيدها في الوهمِ حُسنًا ما استطعت مزيدا
لو مرَّ بالولدان طيفُ جمالها في الخُلدِ خرّوا رُكّعًا وسُجودا
أشهي من العودِ المرنِّم منطقًا وألذُّ من أوتاره تغريدا
يا مصرُ أشبالُ العَرينِ ترعرعت ومشتْ إليكِ من السجون اسودا
قبِلَتْ جهودَهم البلادُ وقبّلتْ تاجا على هاماتهمْ معقودا
خرجوا فما مدّوا حناجِرهم ولا مَنّوا على أوطانهم مجهودا
جادوا بأيام الشبابِ وأوشكوا يتجاوزون إلى الحياة الجودا
طلبوا الجلاءَ على الجهادِ مثُوبةً لم يطلبوا أجْر الجهاد زهيدا(١)
واللّهِ: مادون الجلاءِ ويومِه يومٌ تُسميه الكنانةُ عيدا
وجَدَ السجينُ يدًا تحطِّمُ قيْدهُ من ذا يُحطمُ للبلاد قيودا؟
يافتيَة النيل السعيدِ خذوا المدى واستأنِفوا نَفسَ الجهادِ مديدا
وتنكّبو العدوان واجتنبوا الأذى وقفوا بمْصرَ الموقِفَ المحمودا(٢)
الأرض أليقُ مَنزلا بجماعة يبغون أسبابَ السماء قعودا
أنتم غدًا أهلُ الأمور وإنما كنّا عليكم في الأمور وُفودا
فابنوا على أسُس الزمان ورُوحِهِ رُكنَ الحضارة باذخًا وشديدا
وجْهُ الكنانةِ ليس يُغضِبُ ربكم أن تجعلوه كوجهه معبودا

---

(١) يريد بالجلاء: جلاء الجنود الإنجليزية المحتلة عن أرض البلاد (٢) تنكبوا العدوان، أى تجنبوه

وَلُّوا إليـه في الدُّروس وُجـوهَكم وإذا فرغـتُمْ، واعبـدوه هُجـودا[1]
إن الذى قـسـم البـلادَ حـبـاكم بلدًا كـأوطان النجـومِ مَجـيـدا[2]
قـد كـان - والدنيـا لحـودٌ كلهـا للعـبـقـريةِ والفنونِ مُـهـودا

(١) الهجود: جمع هاجد، وهو النائم أو المصلى بالليل. (٢) حباه: أعطاه، وأوطان النجوم: كناية عن السماء.

٩ ـ أبو الهول

أبا الـهَـوْلِ، طـالَ عليكَ الـعُـصُـرْ   وبُلِّغْتَ فى الأرْض أقـصى الـعُـمُـر(١)

فـيـالِدَةَ الدَّهـرِ، لا الدَّهـرُ شَبَّ،   ولا أنت جـاوزت حـدَّ الصِّـغَـر(٢)

إلامَ ركـــوبُكَ مـتنَ الـرمـــا   ل لِطَيِّ الأصيل وجَوْب السَّحَر(٣)

تُسـافـر منتـقــلا فى القــرو   ن فـأيان تلقى غـبـار السـفـر؟

أبيْنكَ عَــهْــدٌ وبين الجـبـا   لِ، تزولان فى الموعـد المنتظر؟(٤)

(*) رفع الستار فى مسرح حديقة الأزبكية يوم افتتاحه عن تمثال أبى الهول، يناجيه رجل بهذه القصيدة. (١) «طال عليك العصر» العَصْر والعُصْر والعِصْر والعصر: الدهر.فالعُصُر. هنا مفرد لاجمع. ومعنى طول الدهر على أبى الهول: أنه عمر اعماراً طوالا. وقد أوضح ذلك مع زيادة فى التوكيد بقوله: وبلـغت فى الأرض اقـصى العـمر. والعمر ـ بضم العين والميم ـ لغة فى العمر. (٢) «فيالدة الدهر» فيا أخا الدهر وقرينه، فكأنك والدهر توأمان، خلقتما معا فى أوان والبيت كما ترى آية فى الإبداع وروعة البيان. «ولا انت جاوزت حد الصغر» اى برغم انك بلغت فى الأرض أقصى العمر. (٣) «إلام ركوبك» إلى: من حروف الجر دخلت على ما الاستفهامية، فبنيت بناء كلمة واحدة وسقطت الألف من «ما» طلبا للخفة واعتدادا بإلى الموصولة بها وكذلك يفعلون فى بم وفيم ومم ولا يفعلون ذلك بما الخبرية، ومن العرب من يقف على مثل هذا بالهاء فيقولون: إلامه وعمه وفيمه وله ـ هذا وإنه لتصوير شعرى بديع رائع تصوير أبى الهول راكبا متن الرمال يطوى الليل والنهار، ويسافر متنقلا فى القرون والادهار. و «جوب» فى معنى طى. (٤) «فى الموعد المنتظر» يوم يزول كل شيء، أى اليوم الآخر.

أبا الهـول مـاذا وراء البـقـا ... ء إذا ما تطاول - غير الضجر[١]

فكيف رأيتَ الهُـدى والضـلا ... لَ ودنيا الملوك وأخرى عُمَر؟[٢]

ونَبْـذ المُقَـوقسِ عـهـد الفُـجـو ... رِ وأخذ المقوقس عهدَ الفَجَر[٣]

وتَبـديله ظلمـات الظلا ... لِ بِصبح الهداية لما سَفر[٤]

وتأليـفَـه القِـبطَ والمسلمـيـ ... نَ كَـمـا أُلِّفَت بالولاء الأَسَر[٥]

أبا الهـول، لو لم تكن آية ... لكان وفاؤك إحدى العِبَر[٦]

أطلتَ على الهـرمين الوقـو ... فَ كـثـا كلةٍ لا تَريم الحـفـر[٧]

تُرجِّى لبانيهـمـا عـودة ... وكيف يعودُ الرميم النخر؟[٨]

---

(١) «ماذا وراء البقاء يقول : ما وراء البقاء المتطاول غير السأم. قال زهير بن أبى سلمى:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

(٢) فكيف رأيت: خبرني يا أبا الهول كيف رأيت فرق ما بين هدى المسلمين وأخرى عمر، أي دنياه التى كانها الأخرى فى الصلاح وما إليه من كل ما كان ماثلا أيام الفاروق رضى الله عنه وأرضاه، وما بين الضلال ودنيا الملوك من القياصرة والفرس والروم ومن إليهم. (٣) «المقوقس» هو سيروس، بطريق الطائفة الملكانية بالإسكندرية والحاكم الإدارى بمصر من قبل الرومان، والذى فتح عمرو بن العاص مصر فى عهده. وفى المقريزى: أنه يسمى المقوقس بن قرقفت. ولعله محرف عن سيروس. عهد الفجور: عهد الإنحراف عن الصراط السوى، عهد الإسراف فى المعاصى والآثام، عهد الرومان الذى استبدل به المقوقس. عهد الخيرالعميم، عهد النور، عهد التقى والإصلاح عهد الإسلام،إذ مالأ المسلمين وعبد لهم طريق الفتح. (٤) وتبديله فى معنى البيت الذى قبله، «لما سفر» سفر الصبح وأسفر: أضاء (٥) وتأليفه، أى المقوقس. والأسر: جمع الأسرة، وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون. (٦) إحدى العبر: إحدى الآيات. (٧) أطلت ... الخ: بيان لوفاء أبى الهول. كثا كلة. يقول : إنك فى إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثا كلة ولدها لا تبرح قبله ولا تزايله. والثاكلة هى التى فقدت ولدها. ولا تريم، أى لا تبرح والحفر: جمع حفرة، وهى ما يحفر فى الأرض والمراد بها هنا القبر. (٨) لبانيهما؛ أى لبانى الهرمين.

تجـــوس بعين خـــلالَ الديا   روتَرمى بأخرى فضاء النهَر(١)
تروم بمنفِـــيسَ بيضَ الظُّبـــا   وسُمرَ القَنا والخميس الدثَر(٢)

---

(١) تجوس: تطوف وتتخلل. والنهر والنهر، واحد الأنهار، يعنى نهر النيل.

(٢) تروم: تنشد وتطلب. ومنفيس: منف، وموضعها اليوم البدرشين. وميت رهينة. هى عاصمة ملك الفراعنة، والذى بناها هو مينا مؤسس الأسرة المالكة، وكانت كما قال شاعرنا:

ومهد العلوم الخطير الجلال   وعهد الفنون الجليل الخطر

ولا يخفى ما فى هذا البيت من العكس، والعكس هذا من المحسنات البديعية، وهو أن تقدم فى الكلام جزءاً ثم تعكس فتقدم ما أخرت وتؤخر ما قدمت مثل قول الحماسى:

فرد شعورهن السود بيضا   ورد وجوههن البيض سودا

وقول أبى الطيب: فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله   ولا مال فى الدنيا لم قل مجده

وقول الآخر: ان الليالى للأنام مناهل   تطوى وتنشر دونها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طـــويلة   وطـــوالهن مع السرور قصار

الخميس الاثر : الجيش الكثير. يقول: إنك يا أبا الهول لأوفى الأوفياء إذ كانى بك وقد فقدت تلك الحضارة الباهرة والمدنيّة الزاهرة التى تحليت بها حينا من الدهر وشاهدت عصرها الذهبى ثم ذهب أهلوها وأصبحت منفرداً وحيدا:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا   انيس ولم يسمر بمكة سامر

فأبى عليك وفاؤك إلا أن تطيل الوقوف على الهرمين شأن الثكول فقدت وحيدها، فأبى عليها وجدها أن تريم قبره، وكأنك فى وقوفك هذا ترجى لبانى الهرمين عودة تعود معها تلك المعانى الساميات وتنشد بمنفيس - وهى منك عن كثب - عهد القوة والعظمة والسلطان عهد العلوم والعرفان وعهد الفنون الخطير الجلال مما رأيت فى الزمن الخالى، فلا تصيب شيئا من ذلك ولا تقع عينك من منفيس هذه إلا على قرية قد أندثرت ودمنة قد عفت، تكاد لإغراقها فى الجمود، إذا الأرض دارت لم تدر. فترى فى هذه الأبيات صورة أبى الهول فى وقوفه هذا صورة شعريةآية فى الإبداع والتخيل الشعرى، ثم ترى فيها وصف عظمة المصريين وأن مصر كانت مهدالحضارة والتمدين. ولا جرم فقد أمها وجاور فيها للاستفادة أمثال ليكرغ وصولون من كبار المتشرعين وفيثاغورس وأفلاطون وإقليدس من شيوخ الفلسفة، كما تؤم اليوم بلاد المغرب للمجاورة فيها الإفادة منها. ومن هنا قال بعد ذلك: «فهل من يبلغ عنا الأصول».

ومـهـد العلوم الخطيـر الجـلا ... ل وعـهـد الفنون الجليل الخطر
فـلا تسـتـبين سـوى قـرية ... أجـد مـحـاسنها مـا اندثر[1]
تكاد لإغـراقـهـا فـى الجـمـو ... دِ إذا الأرض دارت بـهـا لـم تدُر
فـهل من يبلغ عنا الأصـو ... لَ بأن الفروعَ اقتدت بالسير؟[2]
وأنا خَطبنا حِـسـان العـلا ... وسـقنا لهـا الغـالىَ المدّخَـر
تحـرّكْ أبا الهَـول هذَا الزمـا ... نُ تحـرّكَ مـافيه، حتى الحـجر
تطالب بالحق فى أمـة ... جـرى دمـه دونه وانتـشـر[3]
ولم تفـتـخـر بأسـاطيلهـا ... ولكن بدسـتـورها تفـتـخـر[4]

«ثم انشق صدر أبى الهول عن فتى وفتاة مثلا أمامه وأنشدا هذا النشيد» :

اليـوم نَسـود بوادينا ... ونُعـيد مـحـاسنَ مـاضـينا
ويشـيـدُ العـزبأيدينا ... وطـنٌ نَفـديه ويَفـدينا

---

(١) «أجد محاسنها ما اندثر». يقول: إن طلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالى أجدت محاسنها. وهو معنى دقيق عجيب، ولعله ينظر إلى قول أبى نواس:

لمن دمن تزداد حسن رسوم ... على طول ما اقوت وطيب نسيم
تجافى البلى عنهن حتى كأنما ... لبسن على الإقواء ثوب نعيم

هذا ويجوز أن يكون «أجد» مبتدأ و «ما أندثر» خبر، أى أن أجد ما فى هذه القرية وأجله هو آثارها الدوارس. (٢) الاصول: أصولنا وآباؤنا الذين وصف. الفروع: نحن المصريين أبناء هذا الجيل. واقتدت بالسير، حذت حذو أصولها، إذ كان منا فى هذه الآونة ما قصه بعد.. (٣) تطالب، أى الفروع. ودونه: دون هذا الحق. (٤] ولم تفتخر: أى إنها مع ذلك لم تعتز بقوتها المادية من جيش وأسطول وما إلى ذلك. ولكنها تعتز بحقها الطبيعى الذى ليس إلا به كيانها..

وطـــن بـــالحـــــق نُـؤَيِّـدهُ وبـعـين اللّـه نشـــيّـــده
ونـحـــــــسـنه ونـزيّـنُـه بمآثـرنا ومـــســـاعــينا
ســـر الـتـــاريخ وعُنْصــره وســــريرُالـدهـرِ ومِنبـــرُه
وجِـنـانُ الخـلـد وكـــــوثـرهُ وكــــفى الآباء رياحـــينا
نتـــخـــذُ الشـــمس له تاجــا وضُـحــاها عـرشـاً وهاجـا
وســمـــاء الســؤدَدِ أبراجــا وكــــذلك كـــان أواليـنا
العـــصـــرُ يراكم والأمَم والكرنك يلحظُ والهـــرمُ
أبـــنـى الأوطـــان ألا هِـــمَـــمُ كـــبنـاء الأولِ يبـنـينـا
سـعـيـاً أبداً سـعـيـاً سـعـيـاً لأثيل المجـــد ولـلـعَلْيـــا
ولنجــعلْ مــصــرَ هى الدنيــا ولنجــعل مـصـر هى الدنيـا

١٠ــ مملكة النحل

مملكةٌ مدبَّرهْ بامرأةٍ مؤمَّره
تحملُ في العمال والصُّـ ـناع عبءَ السيطره
فاعجب لعُمالٍ يُولُّـ ـون عليهم قيصره
تحكمهم راهبةٌ ذكارةٌ مُغبِّرة(١)
عاقدةٌ زُنَّارها عن ساقها مشمرة
تلثمت بالأرجوا ن وأرتدته مئزره
وارتفعت كأنها شرارة مُطيرهْ
ووقعت لم تختلج كأنها مُسمَّره(٢)
مخلوقة ضعيفةٌ من خُلُقٍ مُصوَّره
يا ما أقل ملكها وما أجل خطره

---

(١) التغبير: ترديد الصوت بالقراءة.

(٢) الاختلاج: الاضطراب

قف سـائل النحلَ به | بأىِّ عـقلٍ دبره؟
يُجبكَ بالأخلاق وهـ | ىَ كالعقولِ جوهره
تغنى قوى الأخلاق ما | تغنى القوى المفكرهْ
ويرفعُ اللهُ بها | مَن شاء حتى الحشرة
أليس فى مملكة النحل | لقوم تَبْصره
مُلكٌ بناه أهلُهُ | بهمةٍ ومجدَره(١)
لو التمستَ فيه | بطال اليدين لم تَرَه
تُقتَلُ أو تنفى الكُسا | لَى فيه غيرَ مُنذَره
تحكم فيه قيصره | فى قومها موقَّره
من الرجال وقيو | دِ حُكمِهِم محرره
لا تورثُ القومَ ولو | كانوا البنينَ البرَرَه
الملكُ للإناثِ فى الدَّسـ | ـتورلا للذكره(٢)
نيرةٌ تنزلُ عن | هالتها لنيِّرة
فهل تُرى تَخشى الطُّما | ع فى الرجال والشرهَ(٣)
وفى الرجال كرمٌ | الضعف ولؤمُ المقدُره
وفتنةُ الرأى وما | وراءها من أثره

---

(١) يقال: هذا الأمر مجدرة ذاك، أى جدير به. (٢) الذكرة: الذكور. (٣) الطماع: الطمع.

أنــثــى ولــكــن فــى جــنــا حَــيْــهــا لَبَــاةٌ مُــخْــدِرَه[1]

ذائدةٌ عن حــوضــهــا طـاردةٌ مَـن كــدَّره

تـقـلـدت إبـرتَـهــنــا وادّرعت بـالـحـبَــرَه

كـــأنهـــا (جـــاندارك) فى كـــتـــيـــبـــةٍ مُـــعـــسكِرِه

تَلقى المُغـــيـــرَ بالجنو دِ الخُـــشُـــنِ المنمـــرة

الســـابغـــين شِكةً البـــالغـــين جَـــسَـــرَه[2]

قـــد نثـــرتهم جُـــعـــبـــةٌ ونفـــضـــتْـــهم مـــنـــبـــره[3]

إن الأمـــــورَ هـمـــــةٌ لـــيـس الأمـــــورُ ثـرثـره

(١) اللباة: اللبؤة. (٢) الشكة: السلاح. والجسرة: الجسارة. (٣) المنبرة: بيت الإبرة.

الاعـــتداء(*)

وقى الأرضَ شــرٌ مــقـــاديره   لطيف السمـاء ورَحْـمَـانهـا(١)
ونجّى الكنانة من فـــتـنـة   تـهــدّدتِ النيلَ نيــرانهـــا(٢)
يســيل على قــرنِ شــيطانهــا   عـقـيقُ الدمـاء وعـقـيـانهـا(٣)
وقــتكَ العنايةُ بالراحـــتـيـنِ   وطوّق جـيـدَك إحـسـانهـا(٤)
منايا أبى اللهُ إذ ســـاورتكَ   فلم يَلق نابيْـه ثُعـبـانهـا(٥)
وعند الذى قـهـرَ القـيـصـرينِ   مـصـيرُ الأمـورِ وأحـيـانهـا(٦)
ولو لـم يُسـابقْ دروسَ الحـيـاةِ   لبـصّـره الرُّشـد لقـمـانهـا(٧)
فــإن الليـالى عليــهــا يحــول   شـعـورُ النفـوس ووُجـدانهـا(٨)

(*) قالها احتفالاً بنجاة سعد زغلول من محاولة اغتياله على يد أحد الشبان. (١) المقـادير: جـمع مقـدور، وهـو الأمـر المحتـوم. والضمير الطيف السماء وهو الله تعالى. (٢) الكـنانة: مصـر. (٣) العـقيان: الذهب، أى الدماء التى تشبه فى حمرتها العقيق والعقيان. (٤) الراحتان: تثنية راحة، وهـى الكف. والجيد: العنق. (٥) المنايا: جمع منية، وهى الموت، وساورتك: وثبت عليك. (٦) مصير الأمور: مرجعها. وأحيانها: جمع حين، وقالوا إنه وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طالت أو قصرت والقيصران: ملك الروم وملك الفرس حين الفتح الإسلامى. والله تعالى هو الذى قهرهما. (٧) لقمانها، أى من هو كلقمان، وهو يضرب به المثل.. (٨) عليها يحول: أى يتحول ويتبدل. والمراد أن ما يكون للنفوس من ميول ووجدان يتغير بمضى الزمن..

ويختلفُ الدهرُ حتى يبينَ رُعاةُ العهود وخُوانها[1]

أرى مصر يلهو بحدِّ السلاح ويلعب بالنار ولدانها[2]

وراح بغير مجال العقول يُجِلُّ السياسةَ غلمانها

وما القتل تحيا عليه البلاد ولا همةُ القولِ عُمرانُها

ولا الحكم أن تنقضى دولةٌ وتُقبِلَ أخرى وأعوانها

ولكن على الجيش تقوى البلادُ وبالعلم تشتد أركانها

فأين النبوغُ، وأين العلوم وأين الفنونُ وإتقانها؟

وأين من الخُلق حظ البلادِ إذا قتل الشيَّبَ شبانها؟[3]

وأين من الربح قسطُ الرجال إذا كان فى الخُلقِ خسرانها؟

وأين المعلِّمُ؟ ما خطبُه وأين المدارس؟ ما شأنها

لقد عبثتْ بالنياق الحُداةُ ونام عن الإبل رُعيانها[4]

إلى الخُلْقِ أنظرُ فيما أقول وتأخذ نفسىَ أشجانها

ولن نرتضى أن تُقَدَّ القناةُ ويُبْتَرَ من مصر سودانها[5]

وحُجَّتُنا فيهما كالصباح وليس بمُعييك تبيانها[6]

---

(١) رعاة العهود: الحافظون لها، جمع راع وخوانها جمع خائن.. (٢) الولدان: الصبيان، جمع وليد.. (٣) الخلق: المروءة والدين والسجية، ويغلب الآن على السجية الفاضلة. والمعنى أنه إذا كان شبان البلاد يقتلون شيبها فلاحظ لها من الخلق النافع. (٤) الحداة. جمع حاد، وهو من يغنى للابل لتنشط فى سيرها. (٥) القد والبتر، هنا بمعنى الضياع. (٦) وليس بمعييك، أى بمعجزك.

فمصرُ الرياضُ وسودانُها		عيونُ الرياضِ وخُلجانها(1)
وما هو ماءٌ ولكنه		وريدُ الحياةِ وشِرْيانها(2)
تتمُّ مصرَ ينابيعُه		كما تمّمَ العينَ إنسانُها(3)
وأهلوه منذ جرى عذبُه		عشيرةُ مصرَ وجيرانها
وحربٌ مضت نحن أوزارها		وخيلٌ خلتْ نحن فُرسانها(4)
وكم مَن أتاك بمجموعة		من الباطل، الحقُّ عنوانها
ودعوى القوى كدعوى السبا		ع من الناب والظفر برهانها

---

(١) الرياض، أى كالرياض فى نضرتها وجمالها. والسودان كالعيون والخلجان التى تستقى منها ماءها، فكما تجف الرياض وتقفر إذا انقطعت عنها العيون والخلجان، كذلك تقفر مصر وتبور إذا فصل عنها السودان. (٢) الوريد: عرق فى العنق من الأوردة التى ترتبط بها الحياة والشريان: العرق الذى يحمل الدم من القلب. (٣) الينابيع: عيون الماء، واحدها ينبوع. وإنسان العين، الدائرة التى ترى فى سوادها. (٤) أوزارها: أسلحتها، جمع وزر، وهو السلاح.

١٢ـ الأزهــر(*)

قُمْ فى فمِ الدنيـا وحَىِّ الأزْهَرَا ... وانثُـر على سَمْـعِ الزمـانِ الجـوهَرَا
واذكرْه بعد المسْجِدين مُعظِّماً ... لمسـاجـدِ الله الثـلاثةِ مُكْبِـرا(١)
واخشـعْ مَلِيًّا، واقضِ حقَّ أئمَّةٍ ... طلعـوا به زُهْرًا ومـاجـوا أبْحُـرا
كــانوا أجلَّ من المُلوك جــلالة ... وأعـزَّ سلطاناً وأفـخمَ مَظْهـرَا
من كلِّ بحرٍ فى الشَّريعةِ زاخرٍ ... ويُريكهُ الْخُلُقُ العظيمُ غَضَنْفرا
يا مَعْهداً أفنى القرونَ جِدارُه ... وطوىَ الليـالىَ رُكنُهُ والأعْصُـرا
ومــشَى على يَبَسِ المشــارقِ نوره ... وأضـاء أبيضَها لجهـا والأحْمَـرا
وأتى الزمـانُ عليـهِ يَحـمِى سُنَّةً ... ويذُودُ عن نُسُكٍ ويَمنَعُ مَشْعَـرا(٢)
الصارخون إذا أسىء إلى الحِمَى ... والزائرون إذا أُغيرَ على الشَّرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الأُلى ... يمشـون فى ذَهَب القيود تَبَخْتُرا

(*) قيلت هذه القصيدة بمناسبة إصلاح الأزهر الشريف والبدء فيه فى سنة ١٩٢٤.

(١) المسجدان: المسجد الحرام والمسجد الأقصى. (٢) النسك: العبادة، والمشعر موضع من مناسك الحج.

١٣ـ الصحافة(*)

لكلِّ زمـــانٍ مـــضى آيةٌ ... وآيــة هذا الزمــانِ الصــحُفْ
لســانُ البــلادِ ونبضُ العــبـاد ... وكـهفُ الحـقـوق وحـرب الجنَف(١)
تسيرُ مسيرَ الضُّحى فى البلاد ... إذا العلمُ مزق فيها السَّدَف(٢)
وتمشى تُـعلِّمُ فى أمـــةٍ ... كـثـيــرةٍ من لا يخُطُّ الألفِ!
فيا فتيةَ الصحْف صبرا إذا ... نبـا الرزقُ فـيـهـا بكم واختلف
فـإن السـعــادةَ غـيـرُ الظهـو ... رِ، وغـيـر الثراء، وغـيـر الترف
ولكنهــا فى نواحـى الضـمـيـر ... إذا هــو بـاللـؤم لـم يُـكـتـنـف
ورومـــوا النبـــوغ فـــمن نالـه ... تلقَّى من الحظ أسنى التُّحَف
ومــا الرزق مــجـتنبٌ حـرفـةً ... إذا الحظ لم يهـجـر المحـتـرف

(*) ألف أصحاب الصحف العربية نقابة تجمع كلمتهم وقد ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بانشائها. (١) الجنف: الحيف. (٢) السدف: الظلام.

١٤ـ العلم والتعليم وواجب المعلم

قمْ للمعلمِ وفِّه التبجيلا ... كاد المعلمُ أن يكونَ رسولا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذى ... يبنى ويُنشئ أنفساً وعقولا؟
سبحانك اللهمَّ، خيرَ معلم ... علمتَ بالقلم القرونَ الأولى
أخرجتَ هذا العقل من ظلماته ... وهديتَه النورَ المبينَ سبيلا
وطبعتَه بيدِ المعلم تارةً ... صَدِئَ الحديد، وتارة مصقولا[1]
أرسلت بالتوراة موسى مرشِداً ... وابنَ البتولِ فعلَّم الإنجيلا[2]
وفجَرتَ يَنبوعَ البيان محمداً ... فسقى الحديثَ وناولَ التنزيلا[3]
علَّمن يوناناً ومصرَ فزالتا ... عن كل شمسٍ ما تُريد أُفولا
واليوم أصبحتا بحالِ طُفولةٍ ... فى العلمِ تلتمسانِه تطفيلاً[4]

---

(١) طبع السيف. صاغه وصدئ الحديد، أى غير مجلو ولا مصقول. (٢) البتول. لقب السيدة مريم عليها السلام. (٣) التنزيل. القران. (٤) التطفيل: التطفل. .

من مَشرقِ الأرض الشموس تظاهرتْ ... مـا بالُ مـغـربِهـا عليـه أُديلا(1)
يا أرضُ مُذ فـقـدَ المعلمُ نفسَـه ... بين الشموس وبين شرقِك حيلا
ذهب الذين حموا حقيقة علمِهم ... واستعذبوا فيها العذابَ وبيلا
فى عالمٍ صحِبَ الحياة مقيداً ... بالفردِ، مخزوماً به، مغلولا(2)
صرعته دنيا المستبد كما هوت ... من ضربةِ الشمسِ الرءوسُ ذُهولا
سُقراطُ أعطى الكأسَ وهى منيةٌ ... شفتى محِبٍّ يشتهى التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهى غباوةٌ ... فـأبى وآثر أن يموت نبـيـلا(3)
إن الشجاعة فى القلوب كثيرة ... ووجدتُ شجعان العقولِ قليلا

* * *

---

(1) اديل المغـرب عـلى المشـرق. أى فـاته وانتزع منه الدولة. (2) مـخزو مابه: اى مـسخراً له.
(3) النبل: الذكاء

١٥ - يا شباب الديار*

غالٍ في قيمةِ ابن بُطرسَ غالى — علم اللهُ ليس في الحقِّ غالى(١)

نحتفي بالأديب،والحق يقضى — وجلالُ الأخلاق والأعمال

أدبُ الأكثرين قولٌ، وهذا — أدبٌ في النفوس والأفعال

يُظهرُ المدح رونَق الرجلِ الما — جِد، كالسيف يزدهى بالصِّقال(٢)

ربَّ مدح أذاع في الناس فضلا — وأتاهم بقدوة ومثال

وثناء على فتى عمَّ قوما — قيمةُ العقدِ حُسنُ بعض اللآلى

إنما يقدُرُ الكرام كريمٌ — ويقيمُ الرجالُ وزنَ الرجال(٣)

(*) قيلت هذه القصيدة في تكريم واصف غالى باشا ١٩٠٦ (واصف غالى بك يومئذ) ولعلها كانت أول دعوة إلى الاتحاد عنصرى هذه الأمة الكريمين، ولعل صاحب الديوان كان يتكشف له الغيب فيرى خيال هذا الاتحاد ويدعو إليه والناس عنه عمون، وحديث المؤتمرين ما زال يومئذ ملء الأفواه والأسماع ولقد شاء الله أن يستجيب دعاءه، وأن يربط بين الأخوين برباط مقدس كان لصاحب الديوان فضل الخيط الأول في نسيجه.

(١) غالى في المدح. بالغ فيه. وغالى (الثانية) إما أن يراد بها الأمر، أو يراد بها اسم والد المكرم المرحوم بطرس باشا غالى. (٢) صقل السيف صقالاً، جلاه. (٣) قدره، عظمه.

وإذا عظَّمَ البــــلادَ بَنوها أنزلتـــهم منازِلِ الإجــلال

توَّجتْ هامــهم كمــا توَّجــوها بكريم من الثناءِ وغـــالى

إنما (واصف) بناءٌ من الأخــ ــلاق فى دولةِ المشارق عـالى

ونجـيبٌ مـهــذَّبٌ من نجـيب هذَّبتْـــه تجــاربُ الأحـــوال

واهبُ المالِ والشـبـاب لما يَنـ ـفع، لا للهـوَى ولا للضـلال

ومذيقُ العقولِ فى الغرب مما عَصَرَ العُرْبُ فى السنين الخوالى

فى كتابٍ حوى المحاسن فى الشـ ـعر وأوعى جـوائز الأمـثـال(١)

من صفات كأنها العين صدقاً فى أداء الوجـــوه والأشكال

ونسـيب تحـاذرُ الغيـدُ منه شرك الحسنِ أو شباكَ الدلال

ونظام كـــأنه فَلَكُ الليــ ـل إذا لاحَ وهو بالزهر حـالى

وبيانٍ كما تجلى على الرُّسْــ ـل تجلَّى على رُعـاةِ الضـال(٢)

مـا علِمنا لغـيرهم من لسـان زال أهلوه وهو فى إقــبـال

بلِـيتْ هـاشِـمٌ، وبـادتْ نـزارٌ واللســانُ المبينُ ليس ببـالى

كلمـــا همَّ مـــجـــده بزوالٍ قـام فحلٌ فحـالَ دونَ الزوال

* * *

(١) يشير إلى كتاب فرنسى ألفه واصف باشا وكان موضع تكريمه. (٢) الضال: نوع من الشجر، والمراد رعاة ما يأكل الضال من الحيوان، أى رعاة الإبل .

يابنى مصرَ، لم أقلْ أمَّةَ الـــ ... ـقبطِ فهذا تشبُّث بمحال

واحتيالٌ على خيال من المجــ ... ـد، ودعوى من العِراض الطِّوال

إنما نحنُ مسلمين وقبطاً ... أمَّةٌ وُحِّدَتْ على الأجيال

سبق النيلُ بالأبوّةِ فينا ... فهو أصل وآدمُ الجدُّ تالى

نحن من طينهِ الكريم على الله ... ومن مائهِ القَراح الزُّلال(١)

مَرَّ ما مرَّ من قرونٍ علينا ... رُسَّفا فى القيودِ والأغلال

وانقضى الدهرُ بين زَغردِ العُر ... سِ وحَثْوِ الترابِ والإعوال

ما تحلى بكم يسوغُ ولا كُنَّــ ... ـا لِطهَ ودينهِ بجمال

وتُضاعُ البلادُ بالنومِ عنها ... وتضاعُ الأمورُ بالإهمال

يا شباب الديار، مصرُ إليكم ... ولواءُ العرينِ للأشبال

كلما رُوِّعتْ بشبهةِ بأسٍ ... جعلتكم معاقلَ الآمال

هَيِّئوها لما يليقُ بمنفٍ ... وكريم الآثار والأطلال

وانهضوا نهضة الشعوب لدينا ... وحياةٍ كبيرةِ الأشغال

وإلى الله مَن مَشى بصليبٍ ... فى يديهِ، ومَن مشى بهلال

---

(١) الماء القراح: الصافى.

١٦ـ نهج البردة

ريم على القاع بين البان والعلَم ... أحلَّ سفْكَ دمى فى الأشهر الحُرُم(١)

لما رَنا حدّثتنى النفسُ قائلة ... ياويح جنبِكَ بالسهم المُصيبِ رُمى(٢)

جحدتُها وكتمتُ السهم فى كبدى ... جُرْحُ الأحبه عندى غير ذى ألم(٣)

يا لائمى فى هواهُ والهوى قدَرٌ ... لو شفَّك الوجد لمْ تعذلْ ولم تلُم(٤)

لقد أنلتك أُذْنا غير واعية ... وربُّ منتصتٍ والقلبُ فى صَمَمِ(٥)

يا ناعس الطرف لاذُقت الهوى أبداً ... أسهرت مضناك فى حفظ الهوى، فنم(٦)

---

(١)الرئم (بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء): الظبى الخالص البياض. والقاع: الأرض السهلة المطمئنة. والبان: جمع بانة، ضرب من الشجر. والعلم: الجبل. والأشهر الحرم: أربعة، ثلاثة متتابعة هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد، وهو رجب وكانت العرب لا تستحل فيها القتال. وفى الشطر الثانى طباق بين قول «أحل» وقوله «الحرم» ولا يذهب عن القارئ ما فى البيت من براعة الاستهلال. (٢) رنا: أدام النظر مع سكون الطرف. ويا ويح: كلمة تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه. يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه. (٣) جحدتها، الجحود: الإنكار مع العلم. (٤) شفه الوجد: أهزله وأنحل جسمه. (٥) انتصت: سكت سكوت مستمع. وفى الشطر الثانى من البيت الطباق بين قوله «منتصت» «فى صمم». (٦) الناعس: الوسنان. والطرف (بالفتح): العين والمضنى: الذى أثقله المرض. ومضناك: الذى أضنيته بما لحقه من الوله عليك وفى الشطر الثانى طباق بين قوله «أسهرت» وقوله «فنم».

يانفس دنياكِ تُخْفى كلَّ مبكية ... وإن بدا لكِ منها حُسنُ مُبتسَم(١)

صلاحُ أمرِك للأخلاقِ مرجِعُه ... فقوم النفسَ بالأخلاقِ تستقِم

والنفسُ من خيرِها فى خير عافيةٍ ... والنفس من شرِّهافى مَرْتع وخم(٢)

تطغى إذا مُكِّنتْ من لذة وهوًى ... طَغى الجيادِ إذا عضَّت على الشكُم(٣)

إن جَلَّ ذَنبى عن الغفران لى أملٌ ... فى اللهِ يجعلنى فى خيْر معتصم(٤)

ألقى رجائى إذا عزَّ المُجيرُ على ... مفرِّج الكرْب فى الداريْن والغُمَم(٥)

إذا خفضت جَناحَ الذُّل أسألُهُ ... عِزَّ الشفاعةِ لم أسألْ سوى أَمَم(٦)

وإن تقدم ذوى تقوى بصالحةٍ ... قدَّمتُ بين يديه عَبْرةَ الندَم(٧)

لزِمْتُ بابَ أميـر الأنبياء ومن ... يُمْسِكْ بمِفتاحِ باب الله يغتنِم(٨)

محمد صفوة البارى ورحمتُه ... وبُغْيَةُ الله من خلْقٍ ومن نَسَم(٩)

---

(١) المبتسم: بمعنى المصدر، أى الابتسام، ويجوز أن يراد به الموضع، أى الثغر. الإضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف. (٢) المرتع من رتعت الماشية ترتع رتوعاً: أكلت ما شاءت. والمرتع: موضع الرتوع. والوخم: الردئ الوبى (٣) الشكم جمع شكيمة، وهى الحديدة المعترضة فى لجام الفرس. (٤) عصمة الله العبد: حفظه مما يوبقه ويهلكه. والمعتصم: الموضع منها، أو بمعنى المصدر، أى الاعتصام. (٥) الغمم جمع غمة، وهى الهم والحزن. والمجير هنا: المنقذ. إذا عز المجير؛ أى يوم القيامة. ومفرج الكرب فى الدارين: هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه، لأنه أخرج الناس فى الدنيا من ظلمة الغواية إلى نور الهداية وهو فى الاخرة صاحب الشفاعة العظمى (٦) الأمم: اليسير وخفض جناح الذل: كناية عن شدة التواضع والإنكسار. (٧) العبرة: تحلب الدمع. (٨) أمير الأنبياء: هو محمد صلى الله عليه وسلم. ولزوم بابه: كناية عن الالتجاء إلى كرمه وعدم الانحراف عن التوسل به فى قضاء الطلبات. (٩) النسم : جمع نسمة وهى النفس أو هى الانسان.

وَنُودِيَ اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها ... لم تتصِلْ قبلَ مَن قيلتْ له بفم

هناك أَذَّنَ للرَّحمن فامتلأت ... أسماعُ مكة من قُدْسِيَّةِ النغَم[1]

فلا تسلْ عن قريشٍ كيفَ حيْرَتُها ... وكيف نُفرتها في السهل والعلم[2]

تساءلوا عن عظيمٍ قد ألَمَّ بهم ... رمَى المشايخ والولدَان باللَّمَم[3]

سَرَت بشائِر بالهادي ومولِده ... في الشرق والغرب مَسْرَى النور في الظُّلَم

تخطفتْ مُهَجَ الطاغين من عربٍ ... وطيرت أنفسَ الباغين من عجم

يُعذِّبان عبادَ الله في شُبهٍ ... ويَذبَحان كما ضحَّيتَ بالغَنَم

والخلق يفتِك أقواهم بأضعفِهم ... كالليثِ بالبُهْم أو كالحوتِ بالبَلَم[4]

أسرَى بك الله ليلاً إذ ملائكهُ ... والرسلُ في المسجد الأقصى على قدم[5]

لما خطرْتَ به التفُّوا بسيدهم ... كالشُّهبِ بالبدر أو كالجند بالعلم

صلى وراءك منهم كلُّ ذي خطرٍ ... ومن يفُزْ بحبيبِ الله يأتمم[6]

---

(١) أذن للرحمن، أي دعا إلى الله. وقوله من قدسية النغم: ترشيح لتشبيه الدعاء إلى الله تعالى بالصوت الجميل. وقدسية النغم، النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكبير الألفاظ واعتصار الحناجر وإيقاع الأصوات. (٢) فلا تسل: يعني أن الأمر واضح غني السؤال، يقال عند ظهور الأمر ووضوحه: لا تسأل. العلم: الجبل. (٣) ألم: نزل. واللمم (محركة) الجنون المعنى أنه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذي نزل بهم، وهو أن يقوم رجل ليس له ما لهم من البأس والمنعة يزعجهم عما كان يعبد آباؤهم - وهم سادات قريش وجباهها - ويأخذهم عما ألفوا من عاداتهم وأخلاقهم المغروزة فيهم؛ دهشوا لهذا واستعظموه حتى جن منه شيبهم وشبابهم. (٤) البهم. جمع بهمة، وهي ولد الضأن والمعز. والبلم. صغار السمك (٥) المسجد الأقصى: بيت المقدس. وعلى قدم محتشدون. (٦) ذي خطر ذي قدرة ومنزلة ويأتمم، أي يأتم. والأصل ومن يأتم بحبيب الله يفز، ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز.

جُبْتَ السماوات أو ما فوقهنّ بهم ... علـى مـنورة دريـة الـلُّجُـم[1]
مشيئةُ الخالق البارى وصنعتُه ... وقـدرة الله فـوق الشك والتُّـهَم
حتى بلغتَ سمـاءً لا يطارُ لهـا ... على جناحٍ ولا يسعى على قدم
وقـيل كل نبى عند رُتبـتـه ... ويا محمدُ هذا العرشُ فاستلم
يارب، هبت شعوب من منيتـهـا ... واستيقظت أمم من رقدة العدم
رأى قضـاؤك فينا رأى حكمته ... أكْرم بوجهك من قـاضٍ ومنتقم
فالطُف لأجل رسول العالمين بنا ... ولا تزد قـومه خسـفـا ولا تسُم
يارب أحسنت بَدْءَ المسلمين به ... فتممِ الفضل وأمنح حُسن مختتم

(١) بهم: أى بملابسة بعضهم فيها، فإنه ورد أنه مر ببعضهم فى السموات، لاكما هو المتبادر من قوله إنهم صاحبوه حين جاب السموات. ويريد بقوله «منورة درية اللجم» البراق.

١٧ ـ أرسطاليس وترجمانه *

علمتَ بالقلمِ الحكيمِ وهديتَ بالنَّجمِ الكريم
وأتيتْ من محرابه بأرسطاليسَ العظيم
ملكِ العقولِ وإنها لنهاية المُلْكِ الجسيم
شيخ ابن رشدٍ وابن سيـنا وابن بَرْقينَ الحكيم[1]
من كان فى هدْى المسيـحِ وكان فى رشدِ الكليم
وغدا وراح موحِّداً قبل البنية والحطيم[2]
صوت الحقيقة بين رعـدِ الجاهلية والهزيم[3]
ما بين عادية السَّوا م وبين طُغيان المسيم[4]
يبنى الشرائع للعصو ر بناءَ جبارٍ رحيم
ويفصِّل الأخلاق للـ أجيال تفصيل اليتيم[5]

(*) ترجم الأستاذ أحمد لطفى باشا السيد كتاب أرسطاليس فى علم الأخلاق إلى العربية، فكتب إليه صاحب الديوان هذه التهنئة. (١) برقين: بلدة المترجم لطفى باشا السيد. (٢) البنية: الكعبة. (٣) الهزيم: صوت الرعد. (٤) السوام: الماعية. والسم: الراعى. (٥) اليتيم : اللؤلؤ.

فـــى واضـــح لحْــب الــطــريـــ ـــق من المذاهب مـســتـقــيم(١)

ورســــــائلٍ مــــــثل الســــــلا ف إذا تمــشــت فــى الـــنــديم

قـــدســـيـــة النفـــحـــات تُســـ ـكرُ بالمذاق وبالشـــــمـــيم

يالطفِ أنت هــو الـصـــــدى من ذلك الصـــوت الرخـــيم

أرجُ الـريـاض نـقـلـتـــــــــه ونســـخـــتـــه نسخ النســيم

وســـــريتَ من شِـــعبِ الألْمْـــ ـــب به إلى وادى الصَّـــريم(٢)

فــتـــجـــارتِ اللغـــتـــان للـــ ـغايات فى الحـسَبِ الصَّـميم

لغـــة من الإغـــريق قـــيـــمـــة، وأخـــــــــــــرى من تمـــيم

وأتيـــــــتنا بمفـــــــصلٍ بالتـــبـــر علوى الرقـــيم

هـو ضِـنَّةُ المُثـــــرِى من الأ خـــلاق، أو مــــالُ العــديم(٣)

مــشّـــاءَ هذا الـعــصــر قفْ حــدِّث عن العُـصُـر القـديم(٤)

مـــــثلْ لنـا اليـــــونان بيـــ ـــنَ العلم والخلُق القــــويم

أخـــلاقـــهـــا نور الســـبـــيـــ ـل وعِلْمـــــهــــا نور الأديم

وشـــــبـــابُهــــا يتــعـلمـــو ن على الفـــراقــد والنجـــوم

لمســوا الـحــقـيـقــة فى الفنو ن وأدركـــــــوها فى العلوم

حــلَّـتْ مــكـــانـاً عــنــدهـــم فــــوق المعلم والزعـــــيم(٥)

---

(١) الطريق اللحب: الواسع. (٢) الألب: جبل من جبال اليونان. والصريم: واد من أودية العرب.
(٣) الضنة: الشح الذى يضن به (٤) المشاءون: تلاميذ ارسطاليس. (٥) هذه إشارة إلى قول ارسطاليس المشهورة: أفلاطون حبيب إلى ولكن الحقيقة أحب إلى منه.

والجـــهلُ حظك إن أخـــذ   تَ العلمَ من غــيـــر العليم
ولـربَّ تـعـلـيـم ســـــــرى   بـالـنشء كـــالمرض المنيم(١)
يـتـلـبـسُ الحُـلـمُ الـلـذيـ   ـذُ عليــــه بالحُلُم الأليم
ومــــــدارس لا تُـنـهض الأ   خـــلاق دارســـة الرســـوم
يمشى الفــســادُ بنبــتــهــا   مــشى الشــرارة بالهــشـيم
لما رأيت ســـــواد قــــو   مى فى دجى ليل بـهـــيــم
يُســـقَــونَ من أمــيَّـــةٍ   هى غــصـــة الوطن الكظيم
وسَـــراتُهم فى مــقــعـِـد   من مطلب الدنيــا مُــقــيم
يســعَـــوْن للجــاه العظيـ   ـم وليس للحق الهــضــيم
ويَصُــرْتُ بالدُّســـتــور يُزْ   هق وهو فى عــمــر الفطيم
لم ينجُ من كـــيـــد العـــدو   له ومن عــبث الحـــمـــيم
أيقنتُ أن الجـــهلَ عِلَّـ   ـة كل مـجـتـمع ســقـيم
وأتـيتُ يـاربَّ الـنـشــــيـ   ـر بمـا تحـب مـن الـنظـيم
أجـزِ اجـتـهـادك فى جنى   الثــمـرات للنشـئ النهـيم(٢)
من روضــة العلمِ الصـحـيـ   ـح وربـوة الأدب الـسـلـيـم
العـــاشـــقين العلم لا   يـألونه طلب الغـــــريم

(١) المرض المنيم: المنوم.   (٢) النهيم: الذى لا يشبع.

المعــرضين عن الصــغــا ئر والســعــاية والنمــيم
قــســمــا بمذهبك الجـمـيـ ـل ووجه صـحبتك القسـيم
وقــديم عــهــدٍ لاضــئــيـ ـل فى الوداد ولا ذمــيم
مــا كنتَ يومــاً للكنا نةِ بالعــدو ولا الخــصــيم
لمــا تــلاحــى الــنــاسُ لــم تنزل إلى المرعى الوخــيم[1]
كم شــاتم قــابلتــه بتــرفع الأسـبد الشــتـيم[2]
وشــغلت نفــسك بالخـصـيـ ـب من الجـهـود عن العـقـيم
فــخــدمتْ بالعلم البــلا د ولم تزلْ أو فى خــديم[3]
والــعــلــم بــنــاء المــآ ثر والممــالكِ من قــديم
كــســروا به نِيــرَ الهــوا ن وحطمــوا ذل الشكيم

---

(١) تلاحى الناس: تلاعنوا.   (٢) الشتيم: العابس   (٣) الخديم : الخادم

١٨ ـ شهيد الحق

إلامَ الخُلْفُ بينكُم إلامـا؟ وهذى الضجةُ الكُبرى علاما؟
وفيمَ يكيدُ بعضُكُم لبعضٍ وتُبدون العداوةَ والخِصاما؟
وأين الفوزُ؟ لا مصرُ استقرَّتْ على حالٍ ولا السودانُ داما؟
وأين ذهبتُمُ بالحق لما ركبتم فى قضيته الظلاما؟
لقد صارتْ لكم حُكماً وغُنما وكان شِعارُها الموتَ الزُّؤاما
شببتم بينكم فى القُطر ناراً على مُحتلِّه كانت سلاما
إذا ما راضَها بالعقلِ قومٌ أجدَّ لها هوى قومٍ ضِراما
ترامَيتمْ، فقال الناسُ قومٌ إلى الخِذْلانِ أمرُهُم ترامَى
وكانت مصرُ أوّلَ من أصبتم فلم تُحصِ الجراحَ ولا الكِلاما(١)
إذا كان الرُّماةُ رماةَ سوءٍ أحلوا غير مرماها السهاما
شهيدَ الحق قم تره يتيما بأرضٍ ضُيّعت فيها اليتامى

---

(١) الكلام (بكسر الكاف): الجروح.

أقام على الشفاه بها غريبا ... ومر على القلوب فما أقاما
سَقِمت فلم تبت نفسٌ بخير ... كأن بمهجةِ الوطن السَّقاما
إذا جئتَ المنابرَ كنت قُسًا ... إذا هو فى عكاظَ علا السناما(١)
وتحملُ من أديم الحق وجها ... صُراحا ليس يتخذ اللثاما(٢)
أتذكر قبل هذا الجيل جيلا ... سهرنا عن معلِّمهم وناما؟(٣)
مِهارُ الحق بغَّضنا إليهم ... شكيمَ القيصريةِ واللجاما(٤)
لك الخُطَبُ التى غُصَّ الأعادى ... بِسوْرتِها وساغَت للنَّدامى(٥)
فكانت فى مرارتها زئيراً ... وكانت فى حَلاوتها بُغاما(٦)
بك الوطنيةُ اعتدلتْ وكانت ... حديثاً من خرافة أو مناما(٧)
بنيت قضيةَ الأوطانِ منها ... وصيرتَ الجلاءَ لها دِعاما(٨)
هززتَ بنى الزمان به صبيًا ... ورُعتَ به بنى الدنيا غلاما

---

(١) قس هو قس بن ساعدة الإيادى، ويضرب به المثل فى بلاغة الخطباء. ويروى عنه أنه كان يخطب الناس فى عكاظ وهو على ظهر بعير. (٢) الأديم: الوجه والصفحة. (٣) سهرنا عن معلمهم: أى تركنا هذا المعلم ينام وقمنا نحن على تهذيبهم وإنشائهم (٤) المهار: جمع مهر، والمراد هنا الشباب، والشكيم، جمع شكيمة، وهى من اللجام حديدة تعترض فم الفرس، والمراد بشكيم القيصرية ولجامها: قسوة الاحتلال وجبروته. (٥) السورة: الحدة والشدة. وغص بالشىء: اعترض فى حلقه فمنعه التنفس. والمراد بغصة الاعادى، غضبهم. والندامى: جمع ندمان، وهو نديم الشراب. والمراد بهم هنا الشيعة والأصدقاء. (٦) البغام: صوت الظبى. (٧) خرافة: رجل عذرى اختطفته الجن فيما زعموا ثم رجع إلى قومه وأخبر بما راى منها فيكذبوه، وأصبح حديثه هذا مثلا لكل حديث باطل. (٨) الدعام. العماد.

١٩ـ توت عنخ أمون

قِفي يا أختَ (يوشع) خبِّرينا أحاديث القرونِ الغابرينا (١)
وقُصّي من مصارعِهم علينا ومن دُولاتهم ما تعلمينا (٢)
فمثلك من روى الأخبار طرًّا ومن نَسَبَ القبائلَ أجمعينا (٣)
نرى لك في السماءِ خضيبَ قرنٍ ولا نحصي على الأرض الطعينا (٤)
مشيتِ على الشباب شُواظَ نارٍ ودرت على المشيبِ رحى طحونا (٥)
تُعينينَ الموالد والمنايا وتبنين الحياة وتهدمينا(٦)

(١) الخطاب للشمس. وقد أشار إلي قصة يوشع بن نون فتي موسي عليها السلام واستيقافه الشمس فقد روي أن يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم. وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله:

وما أنس لا أنس المليحة إذ بدت دجى فأضاء الأفق من كل موضع
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت وأني قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرون الأجيال الماضية. (٢) قصي : حدثي، ومنه: «نحن نقص عليك أحسن القصص». ومصارعهم: مهالكم ودولاتهم: : جمع دولة بضم ففتح، وهي الداهية، يقال جاء الدهر بدو لاته، أي بدواهيه. (٣) طرا: جميعاً من دون أن تترك منهاشيئاً ونسب القبائل: ذكر انسابهم. (٤) الخضيب: الملون بالخضاب: والقرن: حاجب الشمس. والطعين: المطعون. (٥) الشواظ(بالضم والكسر): دخان النار. (٦) المنايا: جمع منية،وهي الموت.

فـيـالكِ هرةً أكلتْ بنيـهـا ... ومـا وَلدوا وتنتظر الجنينا(١)

وليس الخلد مـرتبـةً تُلقىّ ... وُ تؤْخـذ من شـفـاه الجـاهلينا

ولكن مُنتَـهى هِمَمٍ كـبـار ... إذا ذهبتْ مـصـادرُها بقـينا

وسـرُّ العـبقـرية حـين يسـرى ... فـينتظم الصـنائع والفنُونا

وآثارُ الرجـال إذا تنـاهـتْ ... إلى التـاريخ خـيـر الحـاكمـينا

وأخـذُك من فمِ الدنيـا ثناء ... وتركك فى مـسـامـعـهـا طنينا(٢)

فغـالِى فى بنيك الصـيدِ غـالى ... فـقـد حُبَّ الغلوُّ إلى بنينا(٣)

شـبـابٌ قُنَّعٌ لاخـيـر فـيـهم ... وبُورك فى الشـبـابِ الطامـحينا(٤)

فناجـيـهم بعـرشٍ كـان صِنْوًا ... لعـرشك فى شـبـيـبتـه سنينا(٥)

وكـان العـزُّ حليـتَـه وكـانتْ ... قـوائمـهُ الكتـائبَ والسـفـينا(٦)

خليلَّى اهبطا الوادى ومـيـلا ... إلى غُـرف الشـمـوس الغـاربينا(٧)

وسـيـرا فى مـحـاجـرهم رُويداً ... وطوفـا بالمضـاجع خـاشـعـينا(٨)

وقـبـراً كـا من حـسن وطيب ... يضئ حـجـارة ويضـوعُ طينا(٩)

---

(١) الهرة القطة، ويقال فى المثل «أعق من الهرة» لأنها تاكل أولادها والجنين: الولد مادام فى الرحم. (٢) الطنين: صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك. (٣) الصيد: جمع أصيد، وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمالاً. (٤) شباب قنع: أى قانعون لا يطلبون شيئاً وراء ما بلغوا. والطامحون المتفانون فى طلب المعالى (٥) الصنو: الأخ الشقيق والابن والسنين ـ بفتح السين: من يكون فى سنك (٦) الكتائب : جمع كتيبة، وهى الجيش.. (٧) يريد بالشموس الغاربين: ملوك الفراعنة. وغرفهم: مدافنهم. (٨) المحاجر: ما يحميه الملوك حول منازلهم، ومنها أقيال اليمن، وهى أحماؤهم، أى ما كان يحميه كل واحد منهم. (٩) يضوع : يتحرك وينتشر، أى كادت حجارته تضئ حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية.

يُخـال لروعـة التـاريخ قُـدَّتْ | جنادلُه العـلا من (طورسـينا) (١)
تعـال اليـومَ خـبِّـرنا أكـانت | نواكَ سنـاتِ نومٍ أم سنينـا؟ (٢)
ومـاذا جـبتَ من ظلمـاتِ ليلٍ | بعيدِ الصبح يُنضِي المُدلجينا؟ (٣)
وهل تبـقى النفـوسُ إذا أقـامت | هيـا كلُهــا وتبلى إن بلينا؟
ومـا تلك القـبـابُ وأين كـانت | وكيف أضلَّ حافـرُها القرونا؟ (٤)
حملتَ العرشَ فـيه فـهل ترجّى | وتـأملُ دولـة فى الغـابرينا؟ (٥)
وهل تَلقى المهيمنَ فوق عـرشٍ | ويلقـاه الملا مُـتـَـرجلينا؟ (٦)
ومـا بالُ الطعـام يكاد يقـدى | كما تَركتـه أيدى الصـانعينا؟ (٧)
ولم تكُ أمس تصـبـرُ عنه يومًـا | فكيف صبـرتَ أحقـابًا مئـينا (٨)

---

(١) الروعة: المسحة من الجمال. والجنادل: جمع جندل، وهو الحجارة. وطور سينا: هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى. (٢) تعال اليوم... الخ: الخطاب لتوت عنخ آمون ونواك: بعدك . والسنات: جمع سنة، بكسر السين، وهى النعاس. (٣) ينضى: يهزل. والمدلجون الذين يسيرون من أول الليل. (٤) وما تلك القباب.. الخ، أى وخبرنا ما تلك القباب. جمع قبة. وهى ما ظهر من أبنية المقبرة الفخمة. والقرون: جمع قرن: وهو مائة عام. (٥) فى الغابرين فى الباقين وفى القرآن الكريم: «فأنجينا وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين» ويكون أيضاً بمعنى الماضين، فهو من الكلمات التى تستعمل للاضداد. (٦) المهيمن : من أسماء اللّه تعالى. والمترجلون: الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على أرجلهم. (٧) ما بال الطعام: ما حاله. ويقدى ، من قدى الطعام، أى طاب طعمه ورائحته. (٨) الأحقاب: جمع حقب، بضم الحاء، وهو الدهر. والمئين: جمع مائة.

لقـد كـان الذى حـذر الأوالى وخـاف بنو زمـانك أن يكونا[1]
يحب المرءُ نبش أخـيـه حـيًّـا وينبـشـه ولو فى الهـالكينا

* * *

زمـانُ الفـرديا(فـرعـونُ) ولى ودالتْ دولةُ المتـجـبـرينا[2]
وأصـبـحت الرعـاةُ بكل أرضٍ على حكمِ الرعـيـة نازلينا

(١) لقد كان: أى لقد حصل الذى حذر الأوالى والأوالى : جمع أول، والمعنى أن ما كنتم تخافونه وتحذرون وقوعه من نبش قبور كم قد حصل ولم تمنعه مبالغتكم فى الوقاية منه. (٢) زمان الفرد. أى زمان حكم الفرد. ودالت: انقلبت من حال إلى حال. والمتجبرون : المتكبرون.

٢٠ ـ الهلال والصليب الأحمران

(جبريلُ) أنتَ هدى السما ... ءِ وأنت برهانُ العِنايه(١)
ابسط جَنَاحيكَ اللذيْـ ... ـن هما الطهارةُ والهدايه
وزدِ (الهلال) من الكرا ... مةِ و (الصليب) من الرعايه
فهما لربك راية ... والحربُ للشيطان رايه
لم يخلق الرحمن أكـ ... ـبر منهما فى البر آيه
الأحمران عن الدم الـ ... ـغالى وحرمته كنايه (٢)
الغاديانِ لنجدةٍ ... الرائحان إلى وقايه (٣)
يتألقان على الوغى ... رشدًا تَبيَّن من غوايَه (٤)
يقفان في جنب الدما ... كالعُذرِ فى جنب الجنايه
لو خيما فى (كربلا) ... لم يُمنع (السبُط) السِّقايه (٥)

---

(١) جبريل، من الملائكة مختص بالوحى. (٢) الأحمران ... الخ : أى اللذان جعلا أحمرين ليكنى بهما عن الدم وحرمته. (٣) النجدة: الإعانة. (٤) يتألقان : يلمعان ويضيئان. (٥) كربلا : مدينة فى العراق بها قبر الحسين بن على رضى الله عنهما. والسبط: ولد الولد. والحسين سبط النبى صلى الله عليه وسلم. يشير بذلك إلى مقتل الحسين وما قيل من أن قتلته منعوا عنه الماء حين طلبه وهو فى النزع.

أو أدركـــا يـوم المســـيـــ ـــحِ لعـــاوناه على الـنكايه[1]
ولـنـاولاه الشـــهـــد لا الـــ ـــخَـلَّ الـذى تِصف الـروايـه[2]
البـاعـثـونَ الحــربَ حُـبًّـا لـلـتـــوسُّـع فـي الـولايـه
المدَّعـــــون عـلـى الـورى حق القـيـامـة والوصـايه
المـثْـكلـون المـوتِمــو ن الهــادمـون بلا نهــاية[3]
كلُّ الجِــراحِ لهـــا التـئـا مُ من عــزاءٍ أو نِسـايه[4]
إلا جــــراح الحـقّ فـى عـصـر الحـصـافـة والدِّرايه[5]
ســتظلُّ دامــيـــة إلى يوم الخــصــومــة والشّكايه

---

(١) يوم المسيح: أى اليوم الذى يزعم النصارى أن المسيح صلب فيه. (٢) ولناولاه الشهد .. الخ، وذلك أن النصارى تدعى أن المسيح طلب وقت شدة الصلب ماء فأعطوه خلا. (٣) المثكلون، من أثكلها ولدها، أماته والموتمون: الذين يجعلون الأبناء يتامى بقتل آبائهم فى الحرب. (٤) النساية: النسيان. (٥) الحصافة: استحكام العقل وجودة الرأى.

٢١ـ شكسبير

أعْلى الممالك ما كرسيُّه الماءُ ... وما دِعامتُه (١) بالحق شمَّاءُ

أعلاه بالنظر العالى ونطْقه ... بحائط الرأى أشياخ أجِلاءُ

وحَاطَهُ بالقنا: فتيان مملكة ... فى السلم زهر ربى فى الروع أرزاء

يُستصرخون ويُرجى فضل نجْدتهم ... كأنهم عرب فى الدهر عَرْباء (٢)

دستورُهم عجبُ الدنيا وشاعرُهم ... يدٌ على خلقه لله بيضاء

ما أنجبتْ مثلَ (شيكسبير) حاضرَةٌ ... ولا نَمتْ من كريم الطير غَنَّاء (٣)

نالتْ به وحْدَه (إنكلترا) شرفاً ... مالم تنلْ بالنجوم الكُثْر جَوْزاء (٤)

لم تُكْشف النفس لولاه ولا بُنيت (٥) ... لها سرائر لا تُحْصَى وأهْوَاء

شِعرٌ من النَّسَق الأعلى يُؤَيِّدهُ ... من جانب الله إلهامٌ وإيحاء

من كل بيْت كآى الله تْسكنُه ... حَقيقةٌ من خيالِ الشّعرغرّاء (٦)

وكلّ معنى كعيسى فى مَحاسنه ... جاءتْ به من بناتِ الشعرِ عَذراء

---

(١) الدعامة أو الدعام : عماد البيت . (٢) العرباء من العرب: الصرحاء الخلص (٣) الروضة الكثيرة العشب. (٤) الجوزاء: برج فى السماء . (٥) امتحنت . (٦) ناصعة.

أو قِصةٍ ككتابِ الدهرِ جامعةٍ | كلاهُما فيه إضحاكٌ وإبكاء
مهما تُمَثِّلْ ترَى الدنيا ممثَّلةً | أو تُتْلَ فهى من الإنجيل أجزْاء
يا صاحبَ العُصُرِ الخالى ألا خَبَرٌ | عن عالَمِ الموْتِ يرويه الألبَّاءُ (١)
أما الحياةُ فأمْرٌ قد وصفت لنا | فهل لما بعدُ تمثيلٌ وإدناء (٢)
والناسُ صِنفان موتَى فى حَياتهم | وآخَرُون ببطنِ الأرض أحْياء
تأبَى المواهبُ فالأحياءُ بينهُم | لا يستَوون ولا الأمواتُ أكفاء
يا واصفَ الدّم يجرى ههنا وهُنا | قُمِ انظرِ الدّمَ فهْو اليومَ دَأمَاء (٣)
لاموكَ فى جَعْلكَ الإنسانَ ذِئبَ دمٍ | واليوم تبدو لهم من ذلك أشياء
وقيل أكثرَ ذكرَ القتل، ثم أتوْا | مالم تَسعْه خَيالاتٌ وأنباء
كانوا الذئابَ وكان الجهلُ داءَهُمو | واليومَ علمهُمُ الراقى هو الداء
لؤمُ الحياة مَشَى فى الناس قاطبةً | كما مَشَى آدمٌ فيهم وحَوَّاء
قُم أيّدِ الحقَّ فى الدنيا أليس له | كتيبةٌ منكَ تحت الأرض خَرْساء
وأين صوتٌ تَمِيدُ الراسياتُ له | كما تمأيَدَ يومَ النار سَينَاء (٤)
وأين ماضيةٌ فى الظلم قاضيةٌ | وأين نافذةٌ فى البَغْى نجلاء
أيتركُ الأرض جانوها وليس بها | صحيفةٌ منك فى الجانين سوداء
تأوى إليها الأيامَى (٥) فهْى تعزيَةٌ | ويَسْتريحُ اليتامَى فهْى تأسَاء (٦)

---

(١) الألبّاء : العقلاء ، جمع لبيب. (٢) أدنى الشىء : قربه إليه. (٣) الدأماء . البحر .(٤) يريد النار التى ظهرت لموسى الكليم وهو سائر بأهله شطر طور سينا. (٥) أيامى جمع أيم، المرأة التى تفقد زوجها أو الرجل الذى يفقد امرأته. (٦) تعزية وتسلية.

٢٢- أَثَرُ البَالِ فى البَالِ*

حَفَّ كأسَها الحَبَبُ ... فهْى فِضَّةٌ ذَهَبُ (١)
أو دوائرٌ دُرَرٌ ... مائجٌ بها لَبَبُ (٢)
أو فمُ الحبيب جلا ... عن جُمانِهِ الشَّنَب (٣)
أو يدٌ، وباطنُها ... عاطِلٌ ومختضِب
أو شَقيقٌ وجنتُهِ ... حينَ لى به لعب (٤)
راحةُ النفوس ، وهل ... عند راحةٍ تعَب؟
يا نديمُ خِفَّ بها ... لا كَبَابكَ الطرب
لا تقلْ عواقُبها ... فالعواقبُ الأدب
تنجلىٍ ولى خُلُقٌ ... ينجلى وينسكب
أَقبلتْ شموسُ ضحًى ... مالهن منتقَب (٥)
الظلامُ رَايتُها ... وهْى جَيْشُهُ اللَّجِب(٦)

(*) (البال) كلمة معربة عن الفرنسية بمعنى حفلة راقصة. (١) الحبب الفقاقيع التى تعلو الخمر. (٢) اللبب: موضوع القلادة من الصدر. (٣) جلا : أى كشف، والجمان: اللؤلؤ، والشنب: عذوبة الأسنان. (٤) الشقيق: واحدة شقائق النعمان وهى أزاهر حمراء فيها بقع سوداء. (٥) المنتقب : النقاب. (٦) الجيش اللجب: ذو الكثرة والضجيج.

فى هَوادجٍ عَجَلاً ... بالجيادِ تنسَحِب

قامَ دُونها سَبَبٌ ... واستحثُّها سبَب(١)

فهْى تارةً مَهَلٌ ... وهْى تارةً خَبَب(٢)

تَرْتمى بهنّ حِمًى ... لا يجوزُه رَغَب (٣)

بابه لِداخلِه ... جَنَّةٌ هى الأرَب

قامت السُّراة به ... والمعيَّة النُّجبُ (٤)

وانبرَى النساءُ له ... عُجْمُهُنَّ والعرَبُ

العفافُ زِينتُها ... والجمالُ والحَسب

الحريرُ ملبَسُها ... واللجَيْن والذهب (٥)

يستفِزُّها نغم ... لا صدى ولا لَجب (٦)

يُستعادُ مُرقِصه ... تارةً ويُقتضب

فالقدودُ بانُ رُبى ... بَيْدَ أنها تثب (٧)

فهْى مَرَّةً صُعُدٌ ... وهْىَ مَرَّةً صَبَب (٨)

---

(١) السيب : الحبل، ويشير به أولا إلى زمام الدابة وثانيا إلى سوط السائق. (٢) الخبب : سرعة عدو الجياد. (٣) ترتمى بمعنى ترمى، والرغب: الابتهال والمعنى أنها تذهب بهن إلى ملجأ هو وحده غاية الراجى وكعبة الضارع. (٤) السراة : جمع سرى وهو السيد الشريف فى سخاء ومروءة، والنجب جمع نَجيب وهو الكريم الحسيب. (٥) اللجين : الفضة . (٦) اللجب : الضجيج. (٧) البان : شجر سبط القوام لين ويشبه به القد لطوله. (٨) الصعد: جمع صعد بكسر العين وهو المرتفع. والصبب: المنحدر.

وهـى هَـهـنـا وهُـنـا	تلتـقى وتصْطحب
مِـثلمـا التـقتْ أسَلٌ	أو تعـانقت قُـضُب (١)
الـرءوسُ مـائـلـةٌ	فى الصـدور تحـتجِب
والنُّحـور قـائِمَـةٌ	قـاعـدٌ بهـا الوصب (٢)
والنـهـودُ هـامِـدةٌ	والخـدود تلتـهب
والخـصـورُ واهيـةٌ	بـالـبنان تَـنْجَـذِب
سـالتِ الأكفُ بـهـا	فـهْى أَغْـصنٌ نُهب(٣)
والطعـامُ حـاضـرُه	والمـزيـدُ مُـنْتَـهَبُ
بـاردٌ ومـن عـجـب	يُشـتـهى ويُطْلب
سـائغٌ لِذِى سَـغَبٍ	سـائغٌ ولا سَـغَب (٤)
حـاضـرٌ لِـذِى طَلبٍ	حـاضـرٌ ولا طلبُ
والمُدام أكـؤسُـهـا	مـا تغـيضُ والعُلب(٥)

(١) الأسل: الرمـاح. والقضب: السيوف. (٢) الوصب : التعب. (٣) النهب: جمع نهبة، وهى المنهوب. (٤) السغب : الجوع. (٥) العلب: نوع من الأقداح الضخمة.

٢٣ ـ مَرْقَص

[نظمت هذه القصيدة فى وصف مرقص
أقيم بسراى عابدين سنة ١٩٠٤)

مالَ واحتجبْ ... وادَّعى الغضبْ
ليْت هاجرى ... يَشرَحُ السَّبب
عَتْبُهُ رضَى ... ليته عتب
علَّ بيننا ... واشياً كذب
أو مُفنِّداً (١) ... يخلقُ الرِّيَبْ
مَنْ لِمُدْنَفٍ (٢) ... دمعه سُحب؟
بات متعَباً ... هَمُّهُ الَّلعِب
يستوى خَلٍ ... عندَه وَصَب
ذقتُ صدَّهُ ... غيرَ محتسِب
ضقتُ فيه بالرُّسْلِ والكتب

---

(١) مفند : مكذب . (٢) المدنف: الذى اثقله المرض.

كلما مَشَى   أخجل القُضُب
بَيْن عَيْنه   والمها نسب
ماءُ خدِّه   شفَّ عَنْ لهَب
ساقِيَ الطِّلا (١)   شُرْبُها وَجَب
هاتها مشت   فوقها الحِقب (٢)
بابليَّةٌ   تنفُثُ الحَبَبْ (٣)
إن كَرْمها   آدمُ العِنَب
هُذِّبت في   دَنِّها الأدب
أسْقِها فتًى   خيرَ مَن شرِب
كلما طغى   راضَها الحسب
(عابدين) أمْ   هالةٌ (٤) عجب؟
أُسُّهُ الهدَى   والعُلا طُنُب (٥)
مِن حِسَانِهِم   سِرْب انسَرَب
بين كَوكب   يَسْحَب الذَّنَب
عند جُؤْذَرٍ   فاتن الشَّنَب(٦)
عند شادنٍ(٧)   حاسِر اللبَب (٨)

---

(١) الطلا: الخمر. (٢) الحقب: جمع حقبة، وهي السنة. (٣) الحبب: الفقاقيع التى تعلو الماء والخمر. (٤) الهالة : دارة القمر. (٥) الطنب: حبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد.. (٦) الشنب ماء ورقة وعذوبة فى الأسنان. (٧) الشادن: ولد الظبية. (٨) اللبب: المنحر. واللبب: موضع القلادة من الصدر.

تَذهب النهى أينما ذهب
يَلْتفتُ الملا كلما وثب
فى غلائل سُندُسٍ قشُب(١)
دونهن لا يثبت اليَلَب(٢)
قرَ نهدهُ عِطفه اضطرب
خصُره هبا صدره صبَب
يُركضُ النهى مَشيهُ الخبَب
رائعا كما شاء فى الكتب
آنسَا إلى شِبْههِ انجذب
يستخِفُّه أينما أنقلب
مُطربٌ من اللَحْنِ مُنتَخَب
يَجْمَعُ الملا يُحضر الغيَب
ما حدا المَها قبله طرِب

---

(١) قشب: جمع قشيب وهو الجديد، والقشيب أيضاً: الأبيض والنظيف.
(٢) اليلب: الترسة أو الدروع اليمانية من الجلود وقيل جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرؤوس، واليلب: الفولاذ، واليلب: خالص الحديد.

٢٤ـ الربيعُ وَوَادِى النيل

آذارُ أقبلَ قُمْ بنا يا صاحِ ... حىِّ الربيعَ حديقةَ الأرواحِ

وأجمعْ نَدَامى الظرْفِ تحت لوائه ... وانشُرْ بساحتِهِ بِساطَ الرَّاح

صفوٌ أتيحَ فخذْ لنفسِكَ قِسطَها ... فالصفوُ ليس على المدَى بمتَاح

واجلسْ بضاحكة الرياض مصفّقاً ... لتجاوُبِ الأوتارِ والأقداح

(فرعونُ) خبَّأها ليوم فُتوحِهِ ... وأعدَّ منها قرْبةَ (لفتاح)(١)

ما بين شادٍ فى المجالس أيكه(٢) ... ومحجّبات الأيك فى الأدواح

غردٍ على أوتارِهِ يُوحى إلى ... غردٍ على أغصانه صدَّاح

بيضِ القلانِسِ فى سواد جلاببٍ ... حُلّيْن بالأطواق والأوضاح

رَتَّلْنَ فى أوراقهن ملاحِناً ... كالراهبات صبيحةَ الإفصاح

يخطُرن بين أرائكٍ ومنابرٍ ... فى هيكلٍ من سُندس فيَّاح

---

(١) أحد آلهة قدماء المصريين. (٢) الأيك الشجر الكثير الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر.

مَلكُ النبــات، فكلٌّ أرض دارُه   تلقــاه بالأعــراس والأفــراح
الورد فى سُرُر الغصون مُفتَّح   مـتـقـابل يُثنى على الفَـتَّـاح
مرَّ النسيمُ بصفحتيه مُقْبلاً   مَـرَّ الشِفـاه على خـدود مـلاح
هَتك الردى من حسنِه وبهــائه   بالليل ما نسجتْ يدُ الإصباح
يُنْبِـيك مـصـرعُـه وكلٌّ زائلٌ   أن الحــيــاة كـغُـدوةٍ ورواحِ

٢٥ـ الهِـلاَلُ

سِنون تعـادُ ودهرٌ يعـيـدْ — لعمرُك ما فى الليالى جديدْ

أَضـاء لآدمَ هذا الهـلالُ — فكيف تقولُ الهلالُ الوليد

نعـدٌّ عليـه الزمـانَ القـريب — ويُحصى علينا الزمانَ البعيد

على صفحتيه حديث القُرى — وأيامُ (عـاد) ودنيـا (ثمـود)

و (طيبـةُ) آهلةٌ بالملوك — (وطيبةُ) مقفرةٌ بالصعيد

يزول ببعض سناه الصفا(١) — ويفنى ببعض سناه الحديد

ومن عجَبٍ وهو جَدّ الليالى — يبيد الليالَى فيما يبيد

* * *

يقولون يا عامُ قد عدتَ لى — فياليت شعرى بماذ تعود؟

لقد كنتَ لى أمس ما لم أرِد — فهل أنت لى اليوم ما لا أريد؟

---

(١) الصفا: الصخر.

وَمَنْ صــاَبر الدهَر صــبـرى له		شكا فى الثلاثين شكوى (لبيد)[1]
ظمِــئت ومـــثلى بِرِىٌ أحقُ		كأنى حسينٌ[2] ودهرى يزيد[3]
تغابيتُ حتى صحِبتُ الجهول		وداريتُ حتى صحبت الحسود

(١) لبيد: هو لبيد بن أبى ربيعة أحد المعمرين. (٢) حسين: هو الحسين بن على بن أبى طالب.
(٣) يزيد: هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان.

٢٦ـ الطبيعة

تلك الطبيعةُ قِفْ بنا يا سارِى　　حتى أُريك بديعَ صنْعِ البارِى
الأرضُ حولك والسماءُ اهتزَّتا　　لروائع الآياتِ والآثار
من كل ناطقةِ الجلال كأنها　　أمُّ الكتابِ على لسان القارى[١]
دلَّت على مَلكِ الملوك فلم تَدعْ　　لأدلَّة الفقهاءِ والأحبار[٢]
من شكَّ فيه فنظرة فى صُنْعِه　　تَمْحو أثيمَ الشكِّ والإنكار

* * *

قامت على ضاحى [٣] الجِنان كأنها　　رضوان يُزجى الخلد للأبرار[٤]
كم فى الخمائل وهى بعض إمائها[٥]　　من ذات خلخالٍ وذات سِوار
وحسيرة عنها الثياب وبضَّةٍ　　فى الناعماتِ تَجرُّ فضل إزار[٦]
وضحوكِ سن تملأ الدنيا سنًى　　وغريقةٍ فى دمعها المدرار

---

(١) أم الكتاب: فاتحته. (٢) الأحبار: جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء. (٣) الضاحى: المكان البارز. (٤) يزجى: يسوق ويتحث. (٥) الإماء: الجوارى. (٦) الازار: الملحفة وكل ما ستر.

ووحيدةٍ بالنجدِ [1] تشكو وحْشةً   وكثيرةِ الأتراب بالأغوار[2]

* * *

ولقد تَمُر على الغدير تخاله   والنبتِ مرآةً زهت بإطار[3]

حلو التسلْسُل مَوْجُه وجريرُه   كأناملٍ مرت على أوْتار

مَدّت سواعد مائه وتألقت   فيها الجواهر من حَصيً وجمار[4]

ينساب في مُخضلَّةٍ[5] مبتلةٍ   منسوجةٍ من سُندُس ونضارَ[6]

زهراء عون العاشقين على الهوى   مختارة الشعراء فى آذار

قام الجليد بها وسال كأنه   دمعُ الصبابةَ بلْ غضن عذار

وترى السماءَ ضحىً وفى جُنحِ الدُّجى[7]   مُنشقة من أنهر وبحار

* * *

(١) النجد: ما ارتفع من الأرض. (٢) الغور: القعر من كل شئ.. (٣) إطار الشئ: كل ما أحاط به. (٤) جمع: جمرة وهى الحصى. (٥) اخضل الشئ: صار نديا بليلا. (٦) النضار الذهب. (٧) الدجى: الظلمة أو سواد الليل.

٢٧ـ معارضة البحترى *

اختلافُ النُّهار والليل يُنسى | اذكرا لى الصّبا وأيام أنسى
وصِفا لى مُلاوة من شبابٍ | صُوِّرت من تصورات ومَسٍّ
عصفت كالصَّبا(١) اللعوب ومرَّت | سِنةً(٢) حلوةً ولذة خَلْس(٣)
وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها | أو أسا(٤) جُرحَه الزمان المؤسى
كلما مرت الليالى عليه | رقَّ والعهدُ فى الليالى تُقسى(٥)
مُستَطار(٦) إذا البواخِر رنَّت(٧) | أولَ الليلِ أو عوتْ بعد جَرْس(٨)
راهبٌ(٩) فى الضلوع للسفن فَطْن(١٠) | كلما ثُرن شاعَهن بنَقس(١١)
يا ابنةَ اليمّ(١٢) ما أبوكِ بخيلٌ | ماله مولَعاً بمنعٍ وحبس

(*) يعارض شوقى (أى يحاكى) قصيدة البحترى التى مطلعها :

صنت نفسى عما يدنس نفسى | وترفعت عن ندى كل جبس

(١) الصبا: ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش. (٢) السنة: النعاس. (٣) خلس الشئ: أخذه فى نهزه ومخاتلة. (٤) أسا الجرح: داواه. (٥) قساه تقسية: أى صيره قاسياً. (٦) مستطار، استطير الشئ: طير وانتشر. (٧) رن: أى صاح ورفع صوته بالبكاء. (٨) الجرس: الصوت. (٩) الراهب هو من تبتل لله واعتزل عن الناس إلى الدير طلبا للعبادة ويشبه به القلب. (١٠) فطن للشئ: أى حذق به. (١١) النقس: ضرب النواقيس. (١٢) اليم: البحر.

أحـــــرأم علـى بـلابلـه الـدَوْ ... حُ حـلالٌ للطيـر من كل[1] جنس

كـــلُّ دار أحــق بـــالأهـــل إلاَّ ... فى خـبيثٍ من المذاهب رجْس[2]

نفـسى[3] مـرْجَلٌ وقلبى شـِراعٌ ... بهما فى الدموع سيرى وأرسى

واجعلى وجهك (الفنارَ) ومجرا ... كِ يدَ (الثغر) بين (رمل) و (مكس)

وطنى لو شُـغِلْتُ بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

وهفـا[4] بالفـؤاد فى سلسـبيلٍ ... ظمأ للسـواد من (عين شـمس)[5]

شَـهِدَ اللّه لم يَغبْ عن جفونى ... شخصه ساعةً ولم يَخْلُ حِسِّى

يُصـــبح الفكرُ و(المسلة) نـاد ... يه و (بالسُّرحة الزكيّة) يُمسى

وكــأنى أرى الجــزيرةَ أيكا[6] ... نَغَـمت طيـره بأرخم جَـرس[7]

وأرى النيلَ (كـالعـقيق)[8] بواديـ ... ـه وإن كـان كوثرَ المتحـسِّى[9]

ابنُ مـاءِ السمـاءِ ذو الموكب الفخم ... الذى يَحسُرُ العيونَ ويخُسى[10]

لاترى فـى ركـابه غـيـر مُـثنٍ ... بجـمـيلٍ وشـاكـرٍ فـضلَ عـرس

وأرى (الجيـزة) الحـزينة ثَكْلَى ... لم تُفِقْ بعـد من مناحـة (رمسى)[11]

---

(١) الدوح: جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة. (٢) الرجس: المأثم. (٣) المرجل: القدر من الحجارة والنحاس. (٤) هفا: اى أسرع. (٥) السواد: ما حول البلدة من القرى. (٦) الايك: الشجرة الكثيرة الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر. (٧) الجرس: الصوت. (٨) العقيق: كل وادشقه ماء السبيل، ويعنى بالعقيق هنا عقيق المدينة وهو معروف. (٩) المتحسى: اى الشارب. (١٠) يخسى: من خسا البصر كل واعيا. (١١) رمسى: اى رمسيس..

أكثرتْ ضجة السواقى عليه وسؤالَ اليراع عنه بهَمْس[1]
وقيام النخيل ضفَّرن شعراً وتجردن غير طَوقٍ وسلْس[2]
وكأنّ الأهرام ميزانُ فرعو ن بيومٍ على الجبابر نَحْس
أو قناطيره تألُق فيها ألفُ جابٍ[3] وألف صاحب مكْس[4]
روْعةٌ فى الضحى ملاعِب جَنٍ حين يغشَى الدُجى حماها ويُغسى [5]
و(رهين الرمال) أفطسُ إلا أنه صُنْع جنَّة غير فطْس[6]
تتجلى حقيقةُ الناس فيه سَبُع الخلْق فى أسارير إنسى

---

(١) اليراع: القصب (٢) سلست النخلة سلساً: ذهب كربها. (٣) جاب: الجابي الذى يحمل الخراج (٤) المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعى السلع فى الأسواق فى الجاهلية. (٥) يُغسى: يظلم. ((٦) فطس الرجل: تطامنت قصبة أنفه وانتشر في وجهة فهو افطس، جمع فطس.

٢٨ ـ معبد فيله (أنس الوجود)

أيها المنْتحى ب(بأسوانَ) داراً كالثريَّا تريد أن تنقضَّا
اخلع النعلَ واخفض الطَّرفَ واخشعْ لا تحاول من آيةِ الدَّهر غَضَّا
قفْ بتلكَ (القصور) فى اليمِّ غرْقى ممُسكا بعضُها من الذعر بعضا
كعذارى أخْفينَ فى الماءِ بَضَّا[١] سابحات به وأبدينَ بَضَّا
مُشرفاتٍ على الزوالِ وكانتْ مُشرفات على الكواكب نهضا
شابَ من حولها الزمان وشابتْ وشبابُ الفنونِ ما زال غضَّا
ربُّ «نقش» كأنما نَفض الصا نعُ منه اليدْين بالأمسِ نفضا
و«دهانٍ» كلامعِ الزيتِ مرَّتْ أعْصرٌ بالسراجِ والزيت وُضَّا[٢]
و«خطوطٍ» كأنها هدب ريم[٣] حسُنت صَنعة وطُولا وعَرضا
و«ضحايا» تكاد تمشى وترعى لو أصابت من قدرةِ الله نبضا
و«محاريب» كالبروج بَنَتْها عَزَماتٌ من عَزْمة الجنِ أمضى[٤]

---

(١) بضا، البض: الرخص الجسد. (٢) وضا: وضاء (٣) ريم: غزال. (٤) أمضى: أحد

شيّدتْ بعضها الفراعين زُلفى[1] وبنى البعضَ أجنبٌ يترضّى[2]
و«مقاصيَر» أبدلتْ بفُتات الـ ـمسكِ ترباً وباليواقيت قضّاً[3]
حَظُّها اليومَ هدّةٌ وقديما صُرفتْ فى الحظوظ رَفعاً وخَفْضا
صنعةٌ تُدهِش العقول وفنٌ كان إتقانه على القومِ فَرضا

(١) زلفى: تقربا (٢) يترضى: يطلب الرضا.. (٣) قضا: حصى.

٢٩ـ النيـــل

من أى عَـهـدٍ فى القـرى تَتَـدَفّقُ	وبـأى كف فـى المدائن تُغـــدِق
ومن السـمـاء نزلت أم فُـجـرت من	عليـا الجنان جـداولا تتـرقـرق
وبأى نَـولٍ(١) أنـت نـاسـجُ بـردةٍ	للضـفّـتين جـديدُها لا يخلق(٢)
تسـودُّ ديبـاجـاً إذا فـارقـتـهـا	فإذا حضرت اخضوضر الإسْتبرق(٣)
فـى كل آونةٍ تبـدّل صـبْـغـةً	عـجـبـاً وأنت الصـابغُ المتـأنق
تَسْـقى وتُطعِمُ لاإناؤك ضـائق	بـالواردين ولا خـوانك يَنفُق(٤)
والمآء تسكبه فـيُسبك عسجداً (٥)	والأرض تغرقـهـا فيحيا المغْرق
تعيى منابعُك العقولَ ويستوى	مُـتَـخـبِّط فى علمـهـا ومـحـقِّق
حـمـراء في الأحـواض إلا أنهـا	بيـضـاء فى عُنُق الثـرى تتـألق
دينُ الأوائل فـيك دينُ مـروءةٍ	لـم لا يؤلـه من يقـــوت ويرزُق

---

(١) النول: خشبة الحائك ينسج عليها. (٢) يخلق: يبلى. (٣) الإستبرق: الحرير. (٤) ينفق: يفنى ويقل. (٥) العسجد: الذهب.

لو أن مــخلوقــا يؤله لم تكن ... لسـواك مـرتبـةُ الألوهة تـخلُق[١]

جعلوا الهوى لك والوقار عبادةً ... إن العـبـادة خَـشـيـةٌ وتعلق

دانوا ببــحــرٍ بالمكارم زاخـرٍ ... عَـذب المشـارع مـدُّه لا يُلْحق

مـتـقـيـدٍ بعـهـوده ووعـوده ... يجرى على سنن الوفاء ويصدُق[٢]

يتـقـبل الوادى الحـيـاةَ كـريمة ... من راحـتـيك عـمـيـمـة تتـدفق

مـتـقلب الجنبين فـى نعـمــائه ... يَعْرىَ ويُصْبَغُ فى نَداك فـيورِق

فيبيت خصْبا فى ثراه ونْعمةً ... ويعـمـه مـاء الحـيـاة الموسِق[٣]

وإليك بعـد الله يرجع تحـتـه ... مـا جف أو ما مـات أو ما ينفق[٤]

وكـأنما بين البِلى وقـبـورِهم ... عـهد على أن لا مسـاس ومَوْثق

فـى كل عـــامٍ درة تلقـى بلا ... ثمن إليك وحــرّة لاتصــدَق[٥]

حول[٦] تسـائل فيـه كلُّ نجيبةٍ ... سبقتْ إليك متى يحول فتلحق

والمجـد عند الغـانيـات رغـيبـة ... يبُغى كما يُبغى الجمال ويُعشق

إن زوجـوك بهن فـهى عـقـيـدة ... ومن العـقـائد مـايلب[٧] ويحـمق

زفت إلى ملك الملوك يحُـثـهـا ... دين ويدفـعـهـا هَوى وتشـوُّق

مـجلوة فى الفلكِ يحدو[٨] فلكها ... بالشـاطئيْنِ مـزغـردٌ ومُـصـفّق

---

(١) تخلق: أى تكون خليقة. (٢) السنن: النهج. (٣) الموسق: اسم فاعل من أوسق، والهمزة فيه للتعدية، وثلاثية وسق من وسقت الشاة ونحوها بمعنى لقحت، أو من وسقت الشيء إذا حملته. (٤) ينفق: من نفق الرجل والدابة:ماتا، يعنى ما مات من الإنسان وما هلك من الحيوان. (٥) تصدق: من اصدق الرجل المرأة أى سمى لها صداقها. (٦) الحول: السنة. (٧) يلب من لب أى صار لبيبا.. (٨)من حدا الإبل ساقها وغنى لها.

فى مِـهْـرَجـانٍ هزَّت الدنيـا بـه أعطافَـهـا واخـتـال فـيـهـا المشـرق

فــــرعــــونُ تحتَ لوائه، وبناتُـه يجرى بهن على السفينِ الزورق

حـتي إذ بلغت مـواكـبُـهـا المَدَى وجرى لغـايتـه القـضـاءُ الأسـبق

وكسـا سـمـاء المِهـرجـانِ جـلالةً سيفُ المنيَّة وهوصلْتٌ (١) يبرقُ

وتَلَفَّـتَتْ فى اليَّم كلُّ سـفـينةٍ وانثال (٢) بالوادى الجموعُ وحدَّقوا

ألقت إليك بنفسـهـا ونفيسـهـا وأتتكَ شـيـقـة حـواهـا شـيـق

خلعت عليك حـيـاءَها وحـيـاَتها أأعـــزُّ من هذين شـىءٌ يُنفَق

وإذا تناهى الحبُّ وأتفقَ الفـدَى فـالروحُ فى باب الضـحـيَّة أليق

مـا العـالـم السُّـفلىُّ إلا طينةٌ أزليَّـةٌ (٣) فـيـه تُضىء وتُغـسق (٤)

هى فيه للخصْبِ العميم خميرةٌ يَنْدَى بما حملتْ إليه ويَبـثُق (٥)

وتَشـدُّ بيت النحلِ فـهـو مطنّبٌ وتمدُّ بيتَ النمل فـهـو مُـروَّق

وتظلُّ بين قـوَى الحـيـاةِ جـوائلا لا تسـتَـقِـرُّ دوائلا لا تُمْـحَق (٦)

هـى كِلْمَـةُ اللّه القـدير وروُحـه فى الكائنات وسـرُّه المسـتـغلِق

أصل الحضارةِ فى صعيدك ثابت ونَبـاتهـا حَسَنٌ عليك مُـخلَّق (٧)

وُلِدَتْ فكنت المهـدَ ثم ترعـرعت فـأظلهـا منكَ الحـفىُّ المُشـفِق

---

(١) الصلت : السيف الصقيل الماضى. (٢) انثال أى انصب. (٣) أزلية: الأزل: القدم. (٤) تغسق تظلم. (٥) يبثق : من بثق السيل موضع كذا خرقه وشقه. (٦) تمحق : من محقه اهلكه. (٧) مخلق : متطيب.

مــلأتْ ديارَك حكمــةً، مــأثورُها   فى الصخر والبردِى الكريم مُنَبَّقُ (١)
وبنت بيــوتَ العلم باذخــة الذُّرى   يسـعى لهن مُـغـرِّبٌ ومـشـرِّقٍ
وودائعُ (الفــاروقِ) عندك دينه (٢)   ولـواؤه وبيـــــانـه والمنـطِق
بعث الصحـابةَ يحملون من الهدى   والحق ما يُحيى العقولَ ويُفتق
فتحُ الفتـوح من الملائك رَزْدَق (٣)   فيـه ومن (أصحـاب بدر) رَزْدَق
يبنـون لـلـه الـكـنـانـةَ بـالـقـنـا   والله من حــول البناء مــوفَّق
يا نيل أنت بطيب مـانَعَتَ «الهـدى»   وبمدْحةِ (التوراة) أحرى أخلق
وإليك يُهدِى الحمدَ خلق حـازَهم   كنَفٌ على مـر الدهـور مُرهَّق(٤)
فاحفظ ودائعك التى أستُودِعْتَـها   أنت الوفىُّ إذا اؤتمنت الأصدق
للأرض يومٌ والسـمـاء قـيـامـةٌ   وقـيـامـةُ «الوادى» غـداة تحلّق(٥)

---

(١) منـبق: مصطف. (٢) الفـاروق : عـمـر بن الخـطاب (٣) الرزدق : الصـف مـن الـناس.
(٤) المرهق: من يغشاه الناس والأضياف كثيرًا. (٥) تحلق: تجف، من حلقت الإبل إذا ارتفع لبنها

٣٠ـ نَكبةُ دِمَشق

[قيلت فى حفل أقيمت لإعانة منكوبى سوريا بتياترو
حديقة الأزبكية فى يناير سنة ١٩٢٦]

سلامٌ من صبَا (بَرَدى)(١) أرقُّ ... ودمع لا يُكَفْكَفُ يا دمشقُ
ومعذرة اليراعةِ والقوافى ... جلال الرُّزْءِ(٢) عن وصفٍ يدِقُّ
وذكرَى عن خواطِرها لقلبى ... إليك تلفُّتٌ أبداً وخَفْقُ(٣)
وبى مما رمتك به الليالى ... جِراحاتٌ لها فى القلب عُمق
دخلْتُكِ والأصيل له ائتلاقٌ(٤) ... ووجهُك ضاحك القسمات طَلق
وتحت جِنانك الأنهارُ تجرى ... وملءُ رُباك أوراقٌ ووُرْق(٥)
وحولى فتيةٌ غُرٌّ صِباح ... لهم فى الفضل غاياتٌ وسَبق
على لَهَواتهم(٦) شعراءُ لُسنٌ(٧) ... وفى أعطافِهم خطباءُ شُدْق(٨)

---

(١) بردى: نهر دمشق. (٢) الرزء: المصيبة. (٣) خفق: خفوق. (٤) ائتلاق: من ائتلق لمع وأضاء. (٥) الورق: جمع ورقاء هى الحمامة. (٦) لهوات: جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم. (٧) لسن: من لسن الرجل فصح أو تناهى فى الفصاحة والبلاغة. (٨) شدق: جمع أشدق أى بليغ مفوه كريم.

رواة قصائدى فاعجب لشعرٍ بكل محلّةٍ يرْويه خَلق

غمزتْ إباءَهم حتى تَلَظَّتْ أنوفُ الأسدِ واضطرم[1] المَدَق[2]

وضجَّ من الشكيمةِ[3] كلُّ حُرٍّ أبىٌّ من أميّةَ فيه عِتْق[4]

لحاها اللهُ أنباءٌ توالت على سمْع الولىِّ بما يَشُقُّ[5]

يُفصلها[6] إلى الدنيا بَريدٌ ويُجملها إلى الآفاق برْقٌ[7]

تكاد لروعةِ الأحداث[8] فيها تخال من الخُرافةِ وهى صدْق

وقيل معالمُ التاريخ دُكّت وقيل أصابها تَلَفٌ وحَرْق

ألستِ دمَشقُ للإسلام ظئراً[9] ومرْضعة الأبوّة لا تُعق

صلاحُ الدين تاجُك لم يُجمّل ولم يُوسَم بأزين منه فَرْق

وكلُّ حضارةٍ فى الأرض طالتْ لها من سَرحك العُلوىِّ عِرْق[10]

سماؤكِ من حُلى الماضى كتابٌ وأرضُك من حُلى التاريخ رقُّ[11]

بنيت الدّولة الكبرى ومُلكا غبارُ حضارتَيْهِ لا يُشق

له بالشام أَعلامٌ وعُرسٌ بشائره بأندلُسٍ تدَق

---

(١) اضطرم، من اضطرمت النار: اشتعلت. (٢) المدق: قصبة الأنف. (٣) الشكيمة من اللجام: الحديدة المعترضة فى فم الفرس. (٤) العتق: الكرم وخلوص الأصل. (٥) الولى: المحب والصديق. (٦) فصل بين. (٧) يجمل، من أجمل الكلام: فصله وبينه. (٨) الأحداث: المصائب. (٩) الظئر: المرضعة. (١٠) السرح: الشجر العظام.. (١١) الرق: جلد رقيق يكتب فيه.

رباعُ الخلد ويحَك ما دهاها أَحقٌّ أنها دَرَسَت أحقُّ

دَمُ الثُّوَّارِ تعرفه فرنسا وتَعْلمُ أنه نورٌ وحق

بلادٌ ماتَ فتيتُها لتَحْيا وَزَالوا دون قومِهم لَيبقوا

نصَحتُ ونحن مُختَلِفون دارًا ولكن كلنا فى الهم شَرق

ويجمعُنا إذا اختلفت بلادٌ بيان غير مختلِفٍ ونُطق

وقفتمْ بين موتٍ أَو حياة فإن رمْتمْ نعِيمَ الدهر فاشقوا

وللأوطان فى دم كلٍّ حُر يدٌ سلفتْ ودَيْنٌ مستحق

ومَن يَسْقى ويشربُ بالمنايا إذا الأحرارُ لمْ يُسْقوا ويَسْقوا؟

ولا يَبنى الممالكَ كالضحايا ولا يُدْنِي الحقوقَ ولا يُحق

وللحريّة الحمراء بابٌ بكلٍّ يدٍ مضرَّجةٍ يُدَقُّ

جَزاكم ذو الجلالِ بنى دمشقٍ وعِزُّ الشرق أَوَّلُهُ دمشق

٣١ـ رَمَضَانُ وَلّى

رمضانُ ولّى هاتِها يا ساقى
مُشْتَاقةً تسعى إلى مُشتاق

اللّهُ غفّار الذنوبِ جميعها
إن كان ثَمَّ من الذنوب بواقى

بالأمس قد كنا سجينىْ طاعةٍ
واليوم مَنَّ العيدُ بالإطلاق

ضحِكتْ إلىَّ من السرور ولم تزل
بنتُ الكرومِ كريمةَ الأعراق

هات اسقنيها غير ذات عواقب
حتى نُرَاع لصيْحَة الصُّفّاق (١)

صرفاً مسلَّطة الشُّعاع كأنما
من وجنتيك تُدار والأحداق

حمراءَ أو صفراء إن كريمها
كالغيد ، كلٌّ مليحةٍ بمذَاق

وحَذار من دَمِها الزكىِّ تريقُه
يَكفيك يا قاسى دَمُ العشاق

لا تَسْقنى إلا دهاقا(٢) إننى
أُسقى بكأسٍ فى الهموم دهاق

فلعلّ سلطان المدامة مخرجى
من عالَمٍ لم يحوِ غيرَ نِفاق

---

(١) الصفاق : الديك
(٢) الدهاق : من الكؤوس : الممتلئة

٣٢ـ وَصْفُ حَفلة

طال عليها القِدَمْ ... فهى وجودٌ عَدَمْ
قد وُئدتْ فى الصِّبا (١) ... وانبعثت فى الهَرَمْ
بالغ فِرعون فى ... كرْمتها من كرَم
أهرَقَ عُنْقودها ... تقدمةً للصَّنَم
خبَّأها كاهِنُ ... ناحيةً فى (الهَرم)
أكتُشِفت فامَّحت (٢) ... غير شذاً (٣) أوَ ضَرَم (٤)
أو كخيالٍ لها ... بعد مَتابٍ ألَم (٥)
نَمَّ بها دَنُّها ... وهى عليه أنَمّ
عاذلَتى فى الطِّلى (٦) ... لو أنصَفتْ لم ألُمَ

(١) وئدت : من وأد ابنته دفنها فى القبر وهى حية . (٢) امحى الشىء : ذهب أثره . (٣) الشذا : قوة ذكاء الرائحة . (٤) الضرم : الاشتعال . (٥) أى كخيال الخمر إذا الم بالتائب عنها .
(٦) الطلى : الخمر .

إن عَبَس العيْش لى		عُذْتُ بها فابتَسمْ
يَشربُها كابر (١)		بين ضلوعى أشَمْ
يَبذلُ إلا النهى		يَهتِك إلا الحُرَمْ
يُكْسِبُها خُلْقه		يَمزجها بالشَّيم
يَمنعها حلمه		إن دفعتْه احتشم
تلك شموسُ الدّجى		أم ظَبياتُ الخِيَم
تُقبِلُ فى موكب		شَقٌ سناه الظُّلَمْ
تخْطر من جمعهم		بين ليوثٍ بُهَم(٢)
خارجةٌ من شَرًى		داخلةٌ فى أجَم
ناعِمةٌ لم تُرَعْ		لاهيةٌ لم تَجِم
انتثرت لؤلؤًا		فى المُهَجات انتظم
تمرح فى مأمنِ		مثلَ حمامِ الحَرم
مؤتِلفٌ سِربُها		حيث تلاقى الْتأم
مندفعاتٌ على		مختلفاتِ النَّغم
بين يدٍ فى يدٍ		أو قَدَمٍ فى قَدم
تذهب مَشْىَ القطا		ترجع كرَّ النَّسم

---

(١) الكابر : الكبير . والكابر الرفيع الشأن والشرف . (٢) بهم : واحدها بهمة وهو الشجاع .

تبعث أنَّى بدت ... ضوءَ جبين وفم
تعْجِل خطوًا ، تَنيِ (١) ... فاتنةٍ بالرسَّم (٢)
تجمع من ذيلها ... تتركه لم يُلَم
ترفُل فى مَخْمَلٍ ... نَمٌ ولما يَنِمّ
تتبعُ إلا الهوى ... تَقْرَبُ إلا التُّهم
ليلتُكم قدْرُها ... فوق غوالى القِيَم
مشرقة ، مثلها ... فى زمن لم يَقم
لا برح الصفوُ فى ... ظِلِّكمو يُغْتنَم
ما شربوها وما ... طال عليها القِدَم

---

(١) تنى تتلكأ . (٢) الرسم : حسن المشى .

٣٣ ـ تُوت عَنخ آمُون وَحَضَارَةُ عَصرِه

دَرَجَتْ على الكنز القـــرون … وأتـت عـلـى الـدَّن الـسُّـنون (١)

خـيرُ السـيـوف مـضى الزمـا … نُ عليه فى خـيرِ الجـفـون (٢)

فى منزل كـــمـــحـــجب الـ … ـغـيْب استَـسـرَّ عن الظنون (٣)

حـــتى أتى العلم الجـــســـو … رُ فـفـضَّ خـاتَمـه المصـون

والـعـلـم (بـــدْرِىٌّ) (٤) أحِـ … ـلَّ لأهله مـــا يصنعـــون

هتك الحـجـال (٥) على الحضـا … رة والخـــدورَ على الفنون

واندسَّ كـــالمِصـــبـــاح فى … حُـفَـرٍ من الأجداث جُـون (٦)

حُــجَـرٌ ممرّدةٌ (٧) المعـــا … قِلِ فى الثرى شُمُّ الحصون

لا تهـتـــدى الريحُ الهـبـو … بُ لهـا ولا الغـيث الهـتـون

خـــانت أمـــانةَ جـــارِها … والقــبــرُ كــالدنيـا يخـون

---

(١) الدن : باطية الخمر .(٢) الجفون : الأغماد . (٣) استسر : توارى . (٤) بدرى : نسبة إلى بدر ، وفى الأثر أن أهل بدر مغفورة لهم هفواتهم . (٥) الحجال : جمع حجلة وهو ستر العروس فى جوف البيت. (٥) جون : سود (٦) ممردة : مطولة .

يا ابن الثواقبِ من (رَعٍ) وابن الزواهر من (أمون) (١)

نسبٌ عريق في الضحى بذَّ القبائلَ والبطون

أرأيت كيف يؤوب من غَمْرِ القضاءِ المغْرَقون؟

وتدولُ آثار القرو ن على رَحَى الزمن الطَّحون ؟

حبٌّ الخلود بنى لكم خُلقاً به تتَفرّدون

لم يأخذِ المتقدِّمو ن به ولا المتأخِّرون

حتى تسابقتم إلى إلا حسان فيما تعمَلون

لم تتركوه في الجليـ ـلِ ولا الحقير من الشؤون

هذا القيامُ ، فقل لنا اليـ ـومُ الأخيرُ متى يكون؟

البعثُ غايةُ زائل فانٍ وأنتم خالدون

---

(١) رع وأمون : معبودان مصريان قديمان .

٣٤- دِمَشْـــق

قم ناجِ جِلَّقَ (١) وانشُدْ رسم مَن بانوا ... مشتْ على الرَّسْم أحداثٌ وأزمان

هذا الأديمُ (٢) كتاب لا كِفاءَ له ... رَثُّ الصحائف باقٍ منه عُنوان

الدِّينُ والوحْيُ والأخلاقُ طائفةٌ ... منه وسائره دنيا وبهتان

ما فيه إنْ قُلِّبت يوما جواهرُهُ ... إلا قرائح مِنْ رَادٍ وأذهان

بنو أُمَيَّةَ للأنباء ما فتحوا ... وللأحاديثِ ما سادوا وما دانُوا

كانوا ملوكا سَرِيرُ الشرْقِ تحتَهُمُ ... فهل سألتَ سرير الغرب ماكانوا

عالِينَ كالشمسِ فى أطراف دولتها ... فى كلِّ ناحيةٍ مُلْكٌ وسلطان

بالأمس قمتُ على (الزهراء) (٣) أندُبهم ... واليومَ دمعى على (الفيحاء) هتان(٤)

فى الأرض منهم سماواتٌ وألويةٌ ... ونَيِّراتٌ وأنواء وعِقبان

معادنُ العزِّ قد مال الرُّغامُ(٥) بهم ... لو هان فى تُرْبِه الإبريز ما هانوا

---

(١) جلق : دمشق (٢) الأديم : الأرض . (٣) الزهراء : قصر خلفاء بنى أمية بالأندلس .
(٤) الفيحاء : دمشق . (٥) الرغام : التراب .

لولا دمشق لما كانت (طُلَيْطِلةٌ)   ولا زَهَتْ بِبنى العباس بَغْدان[1]
مَررتُ بالمسجدُ المحزون أسأله   هل فى المصلَّى أو المحرابِ (مروان)
تغيَّرَ المسجدُالمحزون واختلفت   على المنابرِ أحرارٌ وعبدان
فلا الأذان أذان فى منارته   إذا تعالى ولا الآذانُ آذان

آمنتُ باللهِ واستثنيتُ جنَّته   دمَشْقُ رَوحٌ وجناتٌ وريحان
قال الرفاقُ وقد هبَّتْ خمائِلها   الأرضُ دارٌ لها (الفيحاءُ) بستان
جَرَى وصَفَّقَ يلقانا بها (بَرَدَى)[2]   كما تلقَّاك دون الخُلْدِ رضوان
دَخلتُها وحواشيها زُمُردةٌ   والشمسُ فوق لُجَين الماء عِقيان[3]
والحورُ فى (دُمر)[4] أو حول (هامِتها)   حُورٌ [5] كواشفُ عن ساقٍ وولدان
و (ربوةُ) الوادِ فى جِلبابِ راقصةٍ   الساقُ كاسيةٌ والنحرُ عُريان
والطير تصدح من خلف العيون بها   وللعيون كما للطير ألحان
وأقبلتْ بالنبات الأرضُ مختلِفاً   أفوافُه فهو أصباغٌ وألوان[6]
وقد صفَى (بَرَدَى) للريح فابترَدت [7]   لدى ستور حواشيهنَّ أفنان
ثم انثنت لم يزل عنها البلال [8] ولا   جفَّتْ من الماءِ أذيالٌ وأردان[9]

---

(١) بغدان : إحدى لغات كثيرة فى بغداد . (٢) بردى : نهر دمشق . (٣) العقيان الذهب الخالص .
(٤) دمر : ضاحية دمشق . (٥) الحور : شجر عظيم يشبه السرو. (٦) افوافه : جمع فوف بالضم : نوع من الثياب والمراد هنا الزمر . (٧) ابترىت : اغتسلت (٨) البلال : اى البلل .
(٩) أردان : جمع ردن وهو الكم

خلّفتُ (لبنان) جناتِ النعيم وما نُبِّــئتُ أن طريقَ الخلد لبنان
حتى آنحدرتُ إلى فيحاء وارفة فيها النَّدَى وبها (طى) (وشيبان)(١)
نزلتُ فيها بفتيان (٢) جَحاجِحة آباؤهم فى شبـاب الدهر غـسَّـان(٣)
بيضِ الأسرَّة (٤) باق فيهُمُ صَيَدٌ (٥) من (عبد شمسٍ) (٦)وإن لم تبق تيجان
يافتيةَ الشام شكراً لا انقضاءَ له لو أن إحسانكم يجزيه شكران
ما فوق راحاتكم يوم السماح يدٌ ولا كأوطانكم فى البشر أوطان

(١) طى وشيبان : قبيلتا حاتم ومعن . (٢) جحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع إلى المكارم . (٣) غسان : أبو قبيلة باليمن منهم ملوك غسان وكانوا ملوكا للشام . (٤) الأسرة : الوجوه . (٥) الصيد : رفع الرأس كبرا . (٦) عبد شمس : يعنى بنى أمية.

٣٥ـ أندلسية

[نظمها في منفاه بإسبانيا وفيها يحن للوطن العزيز
ويصف كثيراً من مشاهده ومعاهده]

يانائح (الطلح) (١) أشباهٌ عَوَادينا (٢) … نَشْجَى لواديك أم نَأسى لوادينا؟
مـاذا تقُصُّ علينا غيـرَ أن يداً … قصَّتْ جَناحك جالت في حواشينا!
رمى بنا البينُ أَيْكا غيرَ سامرِ نا … أخا الغريب : وظِلاً غير نادينا
كلٌّ رمته النوى ، ريش (٣) الفراق لنا … سَهْمًا ، وسُلَّ عليك البين سكِّينا
إذا دعا الشوقُ لم نَبْرحْ بمنْصَدِعٍ … من الجناحين عَيٍّ لا يلبِّينا
فإن يك الجنسُ يابن الطلح فرقنا … إن المصائبَ يجمعن المُصابينا
لم تأل مـاءَك تَحناناً ولا ظَمَـأً … ولا ادّكاراً (٤)، ولا شجْوا أفانينا (٥)
تَجُر من فَنَن (٦) ساقاً إلى فنن … وتسحب الذيلَ ترتاد المؤاسينا

---

(١) الطلح : نوع من الشجر، سمي به واد بظاهر اشبيليا كان ابن عباد شديد الولع به .
(٢) عوادينا : عوادي الدهر : النازلة بنا وهي مصائبة. (٣) ريش : من راش السهم ألصق عليه الريش . (٤) ادكارا تذكرا . (٥) افانين : اجناس (٦) الفنن : الغصن المستقيم .

أُساةُ (١) جسمك شتّى حين تطلبهم ... فمن لروحك بالنُّطْس (٢) المُدَاوينا !
آهاً لنا! نازِحَىْ أيْكٍ (٣) بأندلس ... وإن حللْنا رفيفاً (٤) من روابينا
رسمٌ وقفنا على رسم الوفاءِ له ... نجيش بالدمع ، والإجلالُ يَثْنينا
لفِتْيَةٍ لا تنال الأرضُ أدمُعَهم ... ولا مَفارِقَهم إلا مُصَلِّينا (٥)
لو لم يسودوا بدينٍ فيه مَنْبهة (٦) ... للناس كانت لهم أخلاقهم دينا
لم نسْرِ من حرم إلا إلى حرم ... كالخمر من (بابل) سارت (لداريتا) (٧)
لما نبَا الخلد نابت عنه نسخته ... تَماثل الورد (خِيريًا) و (نَسْرينا) (٨)
نسقِي ثراهم ثناءً ، كلما نُثِرَت ... دموعُنا نُظِمَت منها مراثينا
كادت عيون قوافينا تُحركه ... وكدنَ يوقِظْنَ فى الترب السلاطينا
لكنَ مصرَ وإن أغْضَتْ على مِقَةٍ (٩) ... عيْن من الُخلد بالكافور تسقينا
على جوانبها رفَّتْ تمائمِنُا ... وحول حافاتها قامت رواقينا(١٠)
ملاعبٌ مَرِحتْ فيها مآربنا ... وأربُعٌ أنِستْ فيها أمانينا
ومطلَعٌ لِسعودٍ من أواخِرنا ... ومَغْرِبٌ لجدودٍ من أوالينا(١١)
بِنَّا فلم نخْلُ من رَوْحٍ (١٢) يُراوِحنا ... من برِّ مصرَ وريحانٍ يُغادينا

---

(١) الأساة : الأطباء . (٢) النطس : الأطباء الحذاق . (٣) الأيك : الشجر الكثيف الملتف . (٤) الرفيف : الخصيب . (٥) يقصد بهم ملوك الأندلس . (٦) منبهة : أى شرف ورفعة . (٧) بابل وداريتا : مدينتان مشهورتان بجودة الخمر . (٨) خيريا ونسرينا : نوعان من الزهر . (٩) المقة : المحبة . (١٠) الرواقى : واحدها راقية وهى التى ترقى الصبى إذا كان به سحر . (١١) الجدود : الحظوظ . (١٢) الروح : الرحمة

كأمِّ موسى ، على اسم اللّه تكفلُنا   وباسمه ذهبتْ فى اليمِّ تُلقينا(١)
ومصرُ كالكَرْمِ ذى الإحسان : فاكهة   لحاضرِين وأكوابٌ لباديِنا

سَقياً لعهدٍ كأكناف الرُّبَى رِفَةً (٢)   أنَّا ذهبنا وأعطافِ الصَّبا لينا
إذ الزمانُ بنا غَيْناءُ زاهِيةٌ   تَرِفُ أوقاتنا فيها ريَاحينا
الوصلُ صافيةٌ ، والعيش ناغيةٌ   والسعدُ حاشيةٌ ، والدهرُ ماشينا
والشمس تَختال فى العِقْيان تَحْسَبها   (بلقيس) ترفُلُ فى وشى اليمَانينا
والنيلُ يقبلُ كالدنيا إذا احتفَلَتْ   لو كان فيها وفاءٌ للمُصافِينا
والسعدِ لودامَ ، والنُّعمَى لو اطَّرَدْت   والسيلِ لوعَفَّ ، والمِقدارِ لودينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذَهَباً   ماءً لَمسنا به الإكسير أو طِينا
أعداه من يُمنه (التابوتُ) وارتسمت   على جوانبه الأنوارُ من سينا
له مبالغ ما فى الخُلق من كرَمٍ   عهدُ الكرامِ وميثاقُ الوفيِّينا
لم يَجْرِ للدهر إعذار (٣) ولا عُرُسٌ   إلاّ بأيامِنا أو فى لياليِنا
ولا حوى السعدُ أَطْغَى فى أعِنتهِ   منا جِياداً ولا أرخَى ميادِينا
نحن اليواقيتُ خاض النارَ جوهرُنا   ولم يهُن بيد التَّشْتيت غالينا

---

(١) شبه مصر حين ضاقت به على الرغم منها فركب البحر وخرج إلى المنفى كأم موسى عليه السلام حين ألقته فى اليم صبيا وسألت اللّه أن يكفله. (٢) الرفة : النضرة . (٣) الإعذار : طعام يتخذ لسرور حادث.

ولا يحــول لنا صبْغٌ ولا خُلُقٌ إذا تلّون كــالحِــرباء شــانِينا

لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت في ملكها الضخم عرشًا مثل وادينا

أرض الأبوة والميـلاد ، طيبـهـا مر الصبا فى ذيول من تصابينا

لو غــاب كلُّ عـزيز عنه غـيبـتنَا لم يأته الشـوقُ إلا من نواحـينا

إذا حَـمْلنا لمصـر أو له شَـجَناً لم ندْر أيَّ هوى الأُمَّيْن شاجِينا

٣٦-وَصفُ الغَواصَة

وذبّابةٍ (١) تحت العُبـاب بمَكْمَنٍ   أمينٍ ترى السـارى وليس يَراها
هي الحوتُ أو فى الحوت منها مشابهٌ   فلـو كـان فـولاذاً لـكان أخـاها
أبَثُّ لأصـحـابِ السّـفين غـوائلا   وألأمُ نـابا حـين تَفْــغَــر فــاهـا
خؤونٌ إذا غاصَت، غَدُور، إذا طَفَت   مُلَعَّنة فى سـبْـحـهـا وسُـراها
تُبَيِّت (٢) سُفنَ الأبرياءِ من الوغى   وتَجْنى على من لا يخوض رَحَاها
فلو أدركَت تابوتَ مـوسـى لسلَّطَت   عليه زُبـاناها (٣). وحَـرَّ حُـمـاها
ولو لم تُغيِّب فلك نُوحٍ وتحْـتجبْ   لما أمنت مـقـذوفَـهـا ولظَاها
فلا كان بانيها ولا كان ركبُها   ولا كـان بحـر ضـمَّـهـا وحـواها
وأفٍّ على العلم الذى تَدّعــونه   إذا كان فى علم النفوس رَدَاها

---

(١) الدبابة يعنى بها الغواصة (٢) يقال: بيت العدو إذا أوقع به ليلا من دون أن يعلم. (٣) زبانا العقرب: قرناها.

٣٧ـ خَدَعُوها

خدَعوها بقولهم حسناءُ		والغواني يغرّهُنّ الثناءُ
أتراها تناست اسمِيَ لما		كثرت في غرامِها الأسْماء
إن رأتني تمَيل عني كأن لم		تكُ بيني وبينها أشياء!
نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ		فكلامٌ فموعدٌ فلقاء
يومَ كنا ولا تَسَل كيف كنا		نتهادى من الهوى ما نشاء
وعلينا من العَفافِ رقيبٌ		تَعِبت في مِراسه الأهواء
جاذبتني ثوبي العصيّ وقالت		أنتم الناسُ أيها الشعراء
فاتقوا الله في قلوب العذارى		فالعذارى قلوبهنّ هواء

٣٨- منك ياهاجر

منك يا هاجرُ دائي وبكفيك دوائي

يا مُنى روحي ودُنيا ي وسُؤْلي ورجائي

أنتَ إن شئتَ نعيمي وإذا شئتَ شقائي

ليس من عمريَ يومٌ لا ترى فيه لِقائي

وحياتي في التُّداني ومماتي في التنائي

نَمْ على نسيان سُهدي فيك واضحك من بكائي

كلُّ ما تَرضاء يا مو لاي يرضاه ولائي

وكما تعلم حبي وكما تدري وفائي

فيك يا راحة روحي طال بالواشي عَنائي

وتَواريتُ بدمعي عن عيون الرُّقباء

أنا أهواك ولا أرْ ضَى الهوى مِن شركائي

غِرتُ حتى لترى أر ضِيَ غيْرَى من سمائي

ليتني كنت رداءً لك أو كنتَ ردائي

ليتني ماؤك في الغُـ ـلَّةِ أوليتَك مائي

٣٩ - مضناك جفاه مرقده

مُضناك جفاهُ مَرْقَدُهُ ... وبَكاه ورَحَّم عُوَّدُهُ
حيرانُ القلب معذَّبُهُ ... مقروحُ الجفن مُسهَّدُه
يستهوى الوُرق تأوُّهُه ... ويُذيب الصَّخرَ تنهده
ويُناجى النجمَ ويُتْعبه ... ويُقيم الليلَ ويُقعدهُ
ويعلمٌ كلَّ مطوَّقةٍ ... شجَناً في الدَّوح تُرَدِّدهُ
الحسنُ حلَفتُ بيُوسفه ... و (السورةِ) إنك مُفرَدَه
قد ودّ جمالك أو قبسَا ... حوراء الخُلدِ وأمردِه
وتمنَّت كلٌّ (١) مقطعةٍ ... يدَها لو تُبعث تَشْهَده
جَحَدت عيناك زكيَّ دمى ... أكذلك خدُّك يجحده
قد عزَّ شهودى إذ رمَتا ... فأشرتُ لخدِّك أُشهِدُه

(١) يعنى بكل مقطعة يدها الخ... صواحبات يوسف الصديق اللواتى ورد ذكرهن فى السورة.

وهَممتُ بِجيدك أشركه — فأبي واستكبر أصْيده
وهززتُ قوامَك أعطِفه — فَنبا وتمنَّع أمْلَدُهُ
سببٌ لرِضاك أُمَهده — ما بال الخصر يُعَقِّده
بيني في الحب وبينك ما — لا يَقدِرِ واشٍ يُفْسدهُ
ما بال العاذلِ يَفتح لي — بابَ السُلوان وأوصده
ويقول تكاد تجنُّ به — فأقول وأُوشِكُ أعْبُدُه
مولاى وروُحى فى يده — قد ضيَّعها سلمت يده
ناقوسُ القلبِ يدُقّ لهُ — وحنايا الأضْلُع معبده
قسَمًا بثنايا لؤلؤها — قسَم الياقوتَ مُنَضَّده
ورضابٍ يوعَد كوثرَه — مقتولُ العشق ومُشهده
وبخالٍ كاد يحج لهُ — لو كان يقبِّل أسوده
وقوامٍ يروى الغصن له — نسبًا والرمح يفنِّده
وبخصرٍ أوهن من جَلَدى — وعوادى الهجر تبدِّده
ما خنتُ هواك ولا خطرت — سلوى بالقلب تبرِّده

٤٠ـ ردت الــروح

رُدَّت الروحُ على المُضنى معكْ		أحسنُ الأيام يومٌ أرْجَعكْ
مَرَّ من بُعْدك ما روَّعَنى		أترى يا حلو بُعدى روعك
كم شكوتُ البَيْنَ بالليل إلى		مَطلع الفجر عسي أن يُطْلِعَك
وبعثتُ الشوقَ فى ريح الصبا		فشكا الحرْقه مما استودَعَك
يانعيمى وعذابى فى الهوى		بعذولي فى الهوى ما جَمَّعك
أنتَ روحى ظَلَم الواشى الذى		زَعَم القلبَ سلا أو ضيَّعَك
مَوقِعى عندك لا أعلمه		آه لو تعلم عندى موقِعك
أرجَفوا أنك شاكٍ مُوجَعٌ		ليت لي فوق الضنًا ما أوجَعَك
نامت الأعينُ إلاّ مقلةً		تسكب الدَّمعَ وترعى مَضْجَعَك

٤١ ـ علموه كيف يجفو

علّموه كيف يجفو فجفا ظالمٌ لاقيت منه ماكفى
مسرفٌ فى هجره ما يَنتهى أتُراهم علّموه السَّرفا؟
جعلوا ذنبى لديْهِ سَهَرى ليتَ بَدْرى إذْ دَرَى الذنب عفا
عرف الناسُ حقوقى عنده وغريمى ما درى ما عَرفا
صح لى فى العمر منه موعدٌ ثم ما صدقت حتى أخلفا
ويرى لى الصبرَ قلبٌ مادرى أنُما كلفنى ما كلفا
مُسْتهامٌ فى هواه مدنَفٌ يترضى مُستهاما مُدْنَفَا
يا خليلىّ صِفا لى حيلةً وأرى الحيلةَ أن لا تصِفا
أنا لو ناديتُه فى ذلةٍ هى ذى روحى خُذها، ماالتفى

٤٢ـ ياناعما

يا ناعــمــاً رقــدت جــفــونه   مُـضْناك لا تهــدا شــجــونه
حـــمـلَ الـهـــوى لـك كلـه   إن لـم تعنه فــمن يُعـــينه
عُـــد منعــمًـــا أو لا تَعُـــد   أودعتَ ســـرك من يصـــونه
بيني وبينك في الـهـــوى   سببٌ سـيـجـمـعُنا مـتـينه
رشـــأ يُعـــابُ الســـاحـــرو   ن وســـحـــرُهم إلا جــفــونه
الـــروحُ مـــلـــكُ يمـــيـــنـــه   يَفـــديهِ مـــا ملكت يمينهُ
مـــا البـــانُ إلا قـــدُّه   لو تَيَّـمت قلبـــاً غـــصـــونُه
ويزينُ كلَّ يتـــيـــمـــةٍ   فـــمــهُ وتحـــســبُـــهـــا تَزينُه
مـــا العـــمـــرُ إلا ليلة   كـان الصبـاحَ لهـا جـبـينه
بات الغــــرامُ يَدينـنـا   فـيـهـا كـمـا بتنا ندينه
بين الرقــــيب وبينـنـا   وادٍ تُبـــاعـــده حـــزونه
نغـــتـــابُه ونقـــول لا   بَقِيَ الرقـــيب ولا عـــيـــونُه

٤٣ ـ قولوا له

قولوا لـه رُوحى فِـداه — هذا التَّجَنِّى ما مَداه

أنا لم أقم بصدودِه — حتى يحمِّلنى نواه

تجرى الأمور لغايةٍ — إلا عذابى فى هواه

سمَّيته بدرَ الدُّجى — ومن العجائب لا أراه

ودعوتُه غصنَ الريا — ض فلم أجدر روضًا حواه

وأقولُ عنه أخو الغزا — ل ولا أرى إلا أخاه

قال العواذلُ قد جفا — ما بالُ قلبِك ما جفاه

أنا لو أطعتُ القلب فيـ — ـه لم أزِدْه على جَواه

والنُّصحُ متهمٌ وإن — نَثَرتْه كالدُّرِّ الشفاه

أُذُنُ الفتى فى قلبه — حينا وحينا فى نُهاه

٤٤ ـ مقادير

مقادير من جفنيْك حوّلن حاليا ... فذقتُ الهوى من بعدما كنت خاليا

نفَذْن عليَّ اللب بالسَّهم مُرسلا ... وبالسِّحر مقضيا وبالسيف قاضيا

وألبَسنَنى ثوبَ الضنَّى فلبِستُه ... فأحْبِبْ به ثوباً وإن ضمَّ باليا

وما الحب إلا طاعةٌ وتجاوزٌ ... وإن أكثروا أوصافَه والمعانيا

وما هو إلا العين بالعين تلتقى ... وإن نوّعوا أسبابه والدَّواعِيا

وعندى الهوى موصوفه لا صفاته ... إذا سألونى ما الهوى قلت ما بِيا

سَمحتُ بروحى فى هواه رخيصةً ... ومن يهوَ لا يُؤثِر على الحب غاليا

ولم تَجْر ألفاظُ الوُشاة بريبةِ ... كهذى التى يجرى بها الدمع واشِيا

أقول لمن ودّعت والركب سائر ... برغم فؤادى سائر بفؤاديا

أماناً لقلبى من جفونك فى الهوى ... كفى بالهوى كأساً وراحا وساقيا

٤٥ـ موشح أندلسى:
صَقْرُ قُرَيش (عَبْدُ الرحمن الداخِل)

من لِنِضْوٍ يتَنزَّى[١] أَلَمَا — برّح الشوق به فى الغلسْ
حَنَّ للبان وناجَى العَلَما — أين شرقُ الأرضِ من أندلِس

* * *

بلبلٌ علَّمه البينُ البيان — بات فى حَبل الشجون ارْتَبكا
فى سماء الليل مخلوعُ العِنانْ — ضاقت الأرضُ عليه شَبَكا
كلما استوحش فى ظل الجنانْ — جُنَّ فاستضحك من حيث بَكى
ارتدى بُرْنُسَه والتَثَما — وخَطا خُطْوَةَ شيخٍ مُرْعَسِ[٢]
ويُرى ذا حَدَبٍ إن جَثَما — فإن ارتَدَّ بدا ذا قَعَسِ[٣]

* * *

---

(١) يتنزى: يتوثب (٢) المرعس: من رعس الرجل: إنما مشى مشيا ضعيفا من الإعياء.
(٣) القعس: ضد الحدب، وهو نتوء الصدر.

فـمُــه القـــانى على لَبَّــتــه ... كبـقـايا الدَّم فى نَصْل دقـيق
مَـــده فـــانَشقَّ من مَنْبِـتِـــه ... من رأى شِقَّىٌ مقَصٍّ من عَقيق
ويكي شـجْـوًا على شُـعـبـتـه ... شجْوَ ذاتِ الثُّكل فى السِّتر الرقيق
سَلَّ من فـيـه لسـانا عَنَمـا (١) ... مـاضـيـاً فى البَت لم يحـتـبس
وترٌ من غـيـر ضــرب رَنَّمـا ... فى الـدَّجى أو شـررٌ من قـبَس

* * *

نَفَـرت لوعـتُــه بعـد الـهـدوء ... والدُّجى بيتُ الَجـوى والبُـرَحـا
يَتــــعـــايا بجَناح ويَنوء ... بجناح مُــذْ وهى مــا صلَحـا
ســاءه الدهـرُ ومـــا زال يســوء ... مـا عليـه لو أسَـا مـا جَـرحَـا
كلمـــا أدمى يـديه نَـدَمـــا ... ســالتـا من طوْقـه والبُـرنُسِ
فـنِيَـتْ أهـدابه إلا دَمَـــا ... قـام كاليـاقـوت لم يَنْبَـجِسِ (٢)

* * *

مَــدٌّ فى الليل أنِيناً وخَـــفَـقْ ... خَفقان القُرط فى جُنح الشَّعرْ
فَــرَغَتْ منه النَّوى غـيــرَ رَمَق ... فضْلَةَ الجرْح إذا الجرحُ نَغر(٣)
يتـــلاشى نزواتٍ فى حُـــرَق ... كـذُبَالٍ آخـرَ الليل اسـتـعَـرْ

---

(١) شجرة حجازية لها ثمرة يشبه بها البنان المخضوب. (٢) لم ينبجس: لم يتفجر
(٣) يقال جرح نغار: أى جياش بالدم.

لم يكن طوْقًا ولكن ضَرَمًا ... ما على لَبَّتِهِ من قبس
رحمةُ الله له هل علِما ... أن تلك النفس من ذا النَّفَسِ

* * *

قلت للّيل وللّيل عَوَادْ ... من أخو البَثّ فقال: ابنُ فِراقْ
قلتُ ما واديه قال الشجو واد ... ليس فيه من حجاز أو عراق
قلتُ لكن جفنه غير جوادْ ... قال شرّ الدمع ما ليس يُراق
نَغبط الطّيرَ وما نعلم ما ... هى فيه من عذابٍ بَئِس
فدَعِ الطّير وحظًا قسما ... صَيرٌ الأيك كدُور الأنَس

* * *

ناحَ إذ جفناى فى أسر النجوم ... رسَفا فى السُّهد والدمعُ طليقْ(١)
أيها الصارخ من بحر الهمومْ ... ما عسى يُغنى غريقٌ عن غريقْ
إن هذا السهم لى منه كلُوم ... كلُّنا نازحُ أيْكٍ وفريق
قلب الدُّنيا تجدها قسَماً ... صُرِّفت من أنعم أو أبؤُس
وانْظر الناسَ تجِدْ من سَلِما ... من سهام الدهرٌ شجَّته القِسى

* * *

يا شباب الشرق عنوان الشّباب ... ثمرات الحَسَب الزّاكى النّمير
حَسبكم فى الكرَم المحض اللباب ... سيرةٌ تبقى بقاء ابنىْ سمير(٢)

---

(١) رسفا تقيدا .
(٢) ابنى سمير: الليل والنهار .

فى كتاب الفخر (للداخل[1]) باب		لم يلجْـه من بنى الملك أمـيـر
فى الشموس الزهر بالشام انتمى		ونمى الأقـــمـــار بالأندلس
قـعـد الشـرق عليـهم مـأتما		وانثنى الغرب بهم فى عُـرُسِ

(١) هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بنى أمية فى الأندلس .

٤٦ـ يا جارة الوادى

شَيَّعتُ أحلامى بقلبٍ باك ... ولمحت من طرق الملاح شباكى
ورجعت أدراجَ الشباب و وِرْدَهُ ... أمشى مكانهما على الأشواك
وبجانبى واهٍ كأن خفوقه ... لما تلفت جهشة المتباكى
شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه ... فإذا أهيب به فليس بشاك
قد راعه أنى طويت حبائلى ... من بعد طول تناول وفكاك
ويح ابن جنبى كل غاية لذة ... بعد الشباب عزيزة الإدراك
لم تبق منا يا فؤادُ بقيةٌ ... لفتوّة أو فضلةٌ لعراك
كنا إذا صفقت نستبق الهوى ... ونشد شدّ العصبة الفتاك
واليوم تبعث فىّ حين تهزنى ... ما يبعث الناقوس فى النساك

* * *

يا جارةَ الوادى طربت وعادنى ... ما يشبهُ الأحلام من ذكراك
مثلت فى الذكرى هواكِ وفى الكرى ... والذكريات صدى السنين الحاكى

ولقـد مـررت على الرياض بربوة　　غناء كنت حـِيـالهـا ألقـاك

ضـحكت إلىّ وجـوهها وعـيـونُها　　ووجـدت فـى أنفـاسـهـا ريّاك

فـذهبت فى الأيام أذكـر رفـرفـا　　بين الجداول والعـيـون حـواك

لم أدر مـاطيبُ العناق على الهوى　　حـتى ترفق سـاعـدى فطواك

وتـأوّدت أعـطـاف بـانـك فـى يدى　　واحـمرّ من خَـفَـرَيْهـمـا خـداك

ودخلت فى ليلين فـرعِك والدجى　　ولثـمت كـالصـبح المنور ًفـاك

ووجـدت فى كنه الجـوانح نشـوة　　من طيب فيك ومن سلاف لَمـاك

وتعطلت لغـــة الكلام وخـــاطبت　　عـينى فى لغـة الهـوى عـيناك

ومـحـوت كل لبـانة من خـاطرى　　ونسـيت كل تعـاتب وتشـاكى

لا أمسِ من عمـر الزمـان ولا غـدٌ　　جُمِعِ الزمـان فكان يوم رضـاك

* * *

٤٧ ـ تمثَال نَهضَة مِصر

جـعلتُ حُـلاها وتمثـالـهــا — عـيـونَ القـوافى وأمـثـالـهـا

وأرسلتـهـا فى سـمـاء الخـيـال — تجــرُّ على النجم أذيالـهــا

وإنى لَغِـــرِّيدُ هذى البطاح — تغــذّى جَناها وسلســالهـا

ترى مـصـر كـعـبـة أشـعـاره — وكل مــعـلّقــة قــالـهــا

وتلَمحُ بين بيـوتِ القـصـيـدِ — حجالَ (١) العروس وأحجالها(٢)

أدار النسـيـبَ إلى حـبِّـهــا — وولىَّ المدائح إجــلالهــا

أرَنَّ بغــابِرِها العــبـقــرىّ — وغنّى بمثل البكى حــالهــا

ويروى الوقــائع فى شــعــره — يروض على البـأس أطفـالـهـا

ومـا لَمَـحـوا بَعْدُ مـاءَ السـيـوف — فــمــا ضَــرَّ لو لمحــوا آلـهــا

* * *

---

(١) الحجال : جمع حجلة ، وهي بيت العروس (٢) الأحجال : الخلاخيل

ويوم ظليل الضحى من بشنس ... أفاء على مصر آمالها
روى ظله عن شباب الزمان ... رفيف الحواشى وإخضالها
مشت مصر فيه تعيد العصور ... ويغمر ذكر الصبا بالها
وتعرض فى المهرجان العظيمِ ... ضُحاها الخوالى وآصالها

* * *

وأقبل (رمسيسُ) جم الجلال ... سنى المواكب مختالها
وما دان إلا بُشورى الأمور ... ولا اختال كبرا ولا استآلها
فحيا بأبلج مثل الصباح ... وجوهَ البلاد وأرسالها
وأوما إلى ظلمات القرون ... فشق عن الفن أسدالها
فمن يبلغ (الكرنك) الأقصرىَّ ... وينبئ (طيبة) أطلالها
ويسمع ثم بوادى الملوك ... ملوك الديار وأقيالها
وكل مخلدةٍ فى الدمى ... هنالك لم نُحص أحوالها
عليها من الوحى ديباجةٌ ... ألح الزمانُ فما ازدالها
تكاد – وإن هى لم تتصل ... بروح – تحرك أوصالها
وما الفن إلا الصريح الجميل ... إذا خالط النفس أوحى لها
وما هو إلا جمالُ العقول ... إذا هى أولته إجمالها

* * *

لقد بعث اللهُ عهد الفنون ... وأخرجت الأرض مثالها
تعالوا نرى كيف سوى الصفاةَ ... فتاة تُلَمْلِمُ سر بالها
دنت من أبى الهول مَشْى الرءوم ... إلى مُقعدٍ هاج بَلْبَالها
وقد جاب فى سكرات الكرى ... عروض الليالى وأطوالها
وألقى على الرمل أرواقه ... وأرسى على الأرض أثقالها
يخال لإطراقه فى الرمال ... سطيح العصور ورمالها
فقالت: تحركْ فَهمَّ الجماد ... كأن الجماد وعى قالها
فهل سكبَتْ فى تجاليده ... شعاع الحياة وسيالها
أتذكر إذ غضبت كاللباةِ ... ولمت من الغيل أشبالها
وألقت بهم فى غمار الخطوب ... فخاضوا الخطوب وأهوالها
وثاروا فجن جُنون الرياح ... وزلزلت الأرض زلزالها
وبات تَلَمُّسهم شيخَهم ... حديث الشعوب وأشغالها
ومن ذا رأى غابة كافحت ... فردت من الأسر رئبالها
وأهيب ما كان بأس الشعوب ... إذا سلَّح الحقُّ أعزالها

٤٨ـ مرحبا بالربيع

مـرحـبـاً بالربيع في رَيْعـانِهْ ... وبأنـوارِه وطيبِ زمـــانهْ

رفّت الأرضُ في مـــواكب آذا ... رَوشبٌ الزمـان في مـهْرَجـانِه

نزل السهلَ ضاحكَ البِشر يمشي ... فـيه مَشْيَ الأميرِ في بستـانه

عـاد حَلْيًا براحَـيتـهْ ووشـيًـا ... طولُ أنهـــارهِ وعَـرْضُ جِنانه

لفَّ في طيْلســانِه طُرَرَ الآر ... ضِ فطاب الأديمُ من طيْلســانه

ســاحـر فـتنة الـعـيـون مـبينٌ ... فـصَّل الماءَ في الربا بجـمـانه

عبقري الخيالِ زاد على الطَّيْـ ... ـف وأربى عليـه في ألـوانه

وشدَت في الربا الرياحينُ همـسًـا ... كـتـغنِّي الطروبِ في وجـدانه

كل رَيحـــانةٍ بلحنٍ كـعُــرس ... أُلفت للغناء شـــتى قِـيـانهِ

نَغَمٌ في السمـاء والأرض شـتى ... من مـعـاني الربيعِ أو ألحـانه

أين نَوْرُ الربيع من زَهَر الشـعـر إذا مـا اسـتـوى على أفنانه

سرمدُ الحسن والبشاشةِ مهما ... تلتـمـسْـهُ تجِـدْه في إبَّانه

حَـــــسَنٌ فـى أَوانِـه كلُّ شـىءٍ وجـمـالُ القـريض بعـد أوانه

مـلك ظِـلُّـهُ علـى رَبْـوَة الخُلـ ـد وكُـرسـيُّـه على خُلجـانه

أمَـرَ الله بالحـقـيـقـةِ والحكمـ ـةِ فـالتـفَّـتـا على صولجـانه

لـم تَثُـــرْ أُمَّـــةٌ إلـى الحَقِّ إلا بهُـدَى الشعـرِ أو خُطا شـيطانه

٤٩ ـ حافظ إبراهيم (*)

قـد كنتُ أوثر أن تقـولَ رثائى ... يا مُنْصفَ الموتى من الأحيـاء
لكن سبَقتَ، وكلُّ طول سلامـةٍ ... قـدَرٌ وكلُّ منيـة بقـضـاء
الحقُّ نادى فاستجبتَ ولم تزل ... بالحقِّ تحِـفلُ عند كلِّ نداء
وأتيتَ صحراء الإمام تذوب من ... طول الحنين لساكن الصحراء (١)
فلقيتَ في الدار الإمامَ محمداً ... في زمـرة الأبرار والحنفـاء (٢)
أثرُ النعيم على كريم جبينه ... ومراشدُ التفسير والإفتاء
فشكوتما الشوق القديم وذقتما ... طيب التداني بعد طول تنائي
إن كـانت الأولى منازلَ فُرقـةٍ ... فالسمحة الأخرى ديارُ لِقاء (٣)

(*) هو المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك، شاعر سباق معدود فى الطليعة. وكان يلقب بشاعر النيل. توفى سنة ١٩٣٢، فرثاه أمير الشعراء شوقى بك بهذه القصيدة التى ينبىء مطلعها على مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له. (١) صحراء الإمام: المقبرة التى دفن بها، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعى لوقوع ضريحه - رضى الله عنه - فى نطاقها. (٢) الإمام: هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الدينى الكبير وقد اشتهر المرحوم حافظ فى حياته باكتساب عطفه ورضاه.
(٣) الأولى: الحياة الدنيا.

ووددْتُ لو أنى فِداك من الرَّدى ... والكاذبون المرجفونَ فِدائى
الناطقونَ عنَ الضغينة والهوى ... الموغرو الموتى على الأحياء
من كلّ هَدَّام ويَبنى مجده ... بكرائم الأنقاض والأشلاء
ما حطَموك وإنما بك حطموا ... من ذا يُحطم رَفْرَفَ الجوزاء؟ (١)
إسكندريَّةُ يا عروسَ الماء ... وخميلة الحكماء والشعراء (٢)
نشأت بشاطئك الفنونُ جميلة ... وترعرعت بسمائكِ الزهراء
جاءتك كالطير الكريم غرائباً ... فجمعتها كالرَّبوة الغناء
ماذا حشدْتِ من الدُّموعِ «لحافظ» ... وذَخرتِ من حزن له وبكاء؟
ووجدْتِ مِن وقع البلاء بفقدهِ ... إنّ البلاء مصارعُ العظماء
هَتف الرُّوَاة الحاضرونَ بشعره ... وحدا به البادون فى البيداء(٣)
لبنانُ يَبكيه وتبكى الضادُ من ... حَلب إلى الفيحا إلى صنعاء
عربُ الوَفاء وفوْا بذمَّةِ شاعر ... بانِى الصُّفوفِ مُؤلِّف الأجزاء
يا حافظ الفصحى وحارس مجدها ... وإمامَ من نَجلَتْ من البُلغاء(٤)
ما زلت تهتف بالقديم وفضلهِ ... حتى حميت أمانة القدماء

---

(١) الرفرف ما يجعل عليه طرائف البيت. والجوزاء: نجم معروف فى السماء. فالتعبير برفرف الجوزاء. كناية مواضع الشرف والسمو. (٢) نظم المرحوم شوقى هذه القصيدة وهو فى الإسكندرية، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لإقامته فيها وقتئذ.
(٣) البادون: السائرون فى البادية. (٤) نجلت : أى ولدت.

جَددْتَ أُسلوبَ (الوليد) ولفظه ... وأتيت للدنيا بسحر (الطائى) (١)
وجريت فى طلب الجديد إلى المدى ... حتى اقترنتَ بصاحب البؤساء (٢)
ماذا وراء الموت من سلوى ومن ... دَعةٍ ومن كرم ومن إغضاء؟
اشرح حقائق ما رأيت ولم تزل ... أهلا لِشرحِ حقائق الأشياء
رُتب الشجاعةِ فى الرجال جلائل ... وأجلّهن شجاعةُ الآراء
كم ضِقتَ ذرعاً بالحياة وكيدها ... وهتفتَ بالشكوى من الضراء
فهلُمّ فارِقْ يأس نفسِك ساعة ... واطلُعْ على الوادى شُعاعَ رجاء
وأشرْ إلى الدنيا بوجه ضاحكٍ ... خُلقت أسرّته من السراء
يا طالما ملأ الندىً بشاشة ... وهدى إليك حوائج الفقراء
اليوم هادنت الحوادِث فاطّرح ... عِبءَ السنين وألق عبء الداء
خلّفت فى الدنيا بياناً خالداً ... وتركت أجيالا من الأبناء
وغداً سيذكرك الزمان ولم يزل ... للدهر إنصافٌ وحسنُ جزاءِ

---

(١) الوليد : هو أبو عبادة البحترى الشاعر العباسى الشهير. والطائى : هو حبيب الطائى الشهير بأبى تمام. (٢) البؤساء : كتاب لفكتور هوجو، عربه الفقيد .

٥٠ ـ محمد عبده(*)

قم اليومَ فَسِّرْ للورى آية الموت | مــفــسِّــر آى الله بالأمس بيننا
وكلُّ هناء أو عـــزاء إلى فـــوت | رُحمتَ، مصيرُ العالمين كما ترى
فذكرٌ كما أبقى الصدَى ذاهبُ الصوت (١) | هو الدهر ميلادٌ فشغلٌ فمأتم

(*) هو الاستاذ محمد عبده مفتى الديار المصرية. توفى سنة ١٩٠٥، وقد ظهرت أسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف. (١) يقول : إن الإنسان يشبه الصوت وذكره من بعده يشبه الصدى. والصدى: هو ما يرد على الصوت شبيهاً بصوته، ويقال له الرجع أيضاً.

٥١ـ جورجي زيدان(*)

مَمالكُ الشرقِ أم أدراسُ أطلال ... وتلك دولُاته أم رَسْمُها البالى(١)
أصابَها الدهرُ إلا فى مآثرِها ... والدهرُ بالناسِ من حالٍ إلى حال
وصار ماتتغنّى من محاسنها ... حديثَ ذى مِحنةٍ عن صَفوه الخالى
إذا حفا الحقُّ أرضاً هانَ جانبها ... كأنها غابةٌ من غيرِ رئبال(٢)
وإن تحكمَ فيها الجهلُ أسلبها ... لفاتك من عَوادى الذلّ قتال
نوابغَ الشرقِ هُزوهُ لعلَّ به ... من الليالى جُمودَ اليائس السالى
إن تنفخوا فيه من روحِ البيان ومن ... حقيقةِ العلم يَنهض بعدَ إعضال
لاتجعلوا الدينَ باب الشرِّ بينكمُ ... ولا مَحل مُباهاة وإدلال

(*) الاستاذ الكبير المرحوم جورجى زيدان منشئ دار الهلال الغراء، هو أحد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية، وأحد أساطين رجال العلم والأدب، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم. وقد توفى سنة ١٩١٤ بعد أن ترك خلفه من التراث العلمى والأدبى مايكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين. (١) الادراس: جمع دارس، وهو الطريق الخفى أو الثوب الخلق. والاطلال جمع طلل، وهو ماشخص من آثار الديار. وهذا المطلع الشعرى ملآن بالفجع على ماصارت إليه ممالك الشرق فى هذه الايام، فهو يسأل مستنكراً: أهذه ممالك حقا، أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمة كانت موجودة وذهبت. (٢) رئبال: أسد.

ما الدين إلا تراث الناس قبلكمُ كل أمــرئ لأبيــه تابعٌ تالى
ليس الغلوُّ أميناً فى مَشورته مناهجُ الرشدِ قد تَخفى على الغالى
لاتطلبوا حقكم بَغياً ولاصلَفاً ما أبعدَ الحق عن باغٍ ومُحتال
ولا يضيعَنَّ بالإهمال جانبه فرُبَّ مصلحة ضاعت بإهمال
كم همةٍ دَفعتْ جيلا ذُرا شرفٍ ونومةٍ هدَّمت بُنيانَ أجيال
والعلمُ فى فضله أو فى مفاخِره ركنُ الممالك صدرُ الدولةِ الحالى
إذا مشت أمةٌ فى العالمين به أبى لها اللّهُ أن تَمشى بأغلال
يَقلُّ للعلم عند العارفين به ما تُقدرِ النفسُ من حُبٍّ وإجلال
فقِف على أهله واطلبْ جواهرَه كناقدٍ مُمعن فى كفِّ لأَّل
فالعلم يفعل فى الأرواح فاسدُه ماليس يفعل فيها طِبُّ دَجّال
ورُبَّ صاحبِ دَرْسٍ لو وقفتَ به رأيتَ شِيبةَ عليم بين جهّال
وتسبِق الشمسَ فى الأمصار حكمته إلى كهولٍ وشبّانٍ وأطفال
(زيدان) إنى مع الدنيا كعهدك لى رضى الصديق مقيلُ الحاسد القالى
لى دولةُ الشعر دون العصرِ وائلة مَفاخِرى حكمى فيها وأمثالى
إن تمش للخير أو للشر بى قدمٌ أشمِّر الذَّيل أو أعثر بأذيالى
وإنْ لقيتُ ابنَ أنثى لى عليه يدٌ جحَدتُ فى جنب فضل اللّه أَفضالى
وأشكر الصنع فى سرِى وفى علَنى إن الصنائعَ تزْكو عند أمثالى
وأتركُ الغيبَ للّه العليم به إن الغيوبَ صناديقٌ بأقفال

٥٢ـ مصطفى كامل باشا (*)

المَشرقانِ عليكَ يَنتحِبان ... قاصيهما في مأتمٍ والداني

ياخادمَ الإسلام أجرُ مُجاهدٍ ... في اللّه مِن خُلد ومِن رضوان

لما نُعيتَ إلى الحجاز مَشى الأسى ... في الزائرينَ و رُوِّعَ الحرمان(١)

السّكةُ الكبرى حِيالَ رُباهُما ... مَنكوسةُ الأعلامِ والقضبان(٢)

لم تألُهَا عند الشدائد خِدمةً ... في اللّه والمختار والسلطان

ياليت مكةَ والمدينةَ فازتا ... في المحفِلَيْن بصوتِكَ الرَّنان

ليرى الأواخر يوم ذَاكَ ويسمعوا ... ماغاب من قُسٍّ ومِن سَحبان(٣)

جارَ الترابِ وأنت أكرمُ راحلٍ ... ماذا لقيت من الوجود الفاني؟

أبكي صِباكَ ولا أعاتب من جَنَى ... هذا عليه كرامةً للجاني

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني، وقد توفي سنة ١٩٠٨.

(١) الحرمان: حرم مكة والمدينة (٢) السكة الكبرى: يريد سكة حديد الحجاز، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين في سبيل إنشائها. (٣) قس وسحبان: خطيبان عربيان يضرب بهما المثل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة.

يتساءلون أبـ (السّلال) قضيت أم	بالقلب أم هل مُت بالسّـرطان؟
اللّه يَشهد أن موتَك بالحِجا	والجـدِّ الإقـدام والعِـرفـان
إن كـان للأخـلاق ركنٌ قـائم	فى هذه الدنيـا فـأنت البـانى
باللّه فتِّش عن فؤادِك فى الثّرى	هل فـيـه آمـالٌ وفـيـه زمـانى؟
وجدانُك الحىُّ المُقيمُ على المَدى	ولَرُبَّ حىَ مَـيِّتِ الوجـدان
الناسُ جارٍ فى الحيـاةِ لغـايةٍ	ومُضلَّلٌ يجرى بغـيـر عِنان
والخلدُ فى الدنيا وليس بهيِّنٍ	عُليـا المراتبِ لمْ تتَحْ لجـبـان
فلو ان رسلَ اللّه قـد جَبنوا لَمَا	مـاتوا على دينٍ من الأديان
المجدُ والشّرفُ الرفيعُ صحيفةٌ	جُعلتْ لها الأخلاق كالعنوان
وأحبُّ من طولِ الحـيـاة بذلَّةٍ	قِصَرٌ يُريكَ تقاصُرَ الأقـران
دَقّـاتُ قلبِ المرءِ قـائلةٌ له	إن الحـيـاةَ دقـائقٌ وثوانى
فارفع لنفسكَ بعدَ موتك ذِكرَها	فـالذكر للإنسـان عُمـر ثانى

٥٣ـ النخيلُ ما بَيْنَ المُنْتَزَهِ وأبى قير

«نظمها بالإسكندرية فى صيف سنة ١٩٣١»

أرى شَجراً فى السماء احتجبْ وشقَّ العَنانَ بمرأى عـجبْ

مــآذنُ قــامت هنا أو هناكَ ظواهِرُها درجٌ من شـذَبْ

وليس يؤذِّنُ فيـها الرجالُ ولكن تصيح عليها الغُرُبْ

وباسـقـة من بنات الرمال نَمتْ وربَت فى ظلالِ الكثُب

كسـاريةِ الفُلك أوكالمسلّة أو كالفَنار وراءَ العَبَبْ

تطولُ وتقـصُرُ خلف الكثيبِ إذا الريحُ جـاءَ به أو ذهب

تُخال إذا اتقدت فى الضُّحى وجَرَّ الأصيلُ عليها اللهَبْ

... وطافَ عليها شُعاع النهارِ من الصحْو أو من حواشى السُّحُب

... وصيفةَ فرعونَ فى ساحةٍ من القصر واقفةً ترْتقب

قد اعتَصَبتْ بفصوص العقيقِ مفصلة بشُذور الذهب

وناطت قــلائدَ مــرْجــانِهــا   على الصدر واتشَحتْ بالقصب
وشـدت على سـاقِـهـا مـئـزراً   تـعـقّــد من رأسِــهــا للذنَب

* * *

أهذا هو النخلُ مَلْكُ الرياض   أميرُ الحقول عروسُ العزب
طعـامُ الفـقـيـر وحَلوىَ الغنىّ   وزادُ المســافِـر والمغــتــرِب
فــيــا نخلةَ الرملِ لم تبـخلى   ولا قـصــرتْ نخــلاتُ التــرب
وأعـجبُ كـيف طَوَى ذكــرَ كنَّ   ولم يحـتـفل شـعـراءُ العـرب!
أليس حــرامــاً خُلُوُّ القــصــا   ئدِ من وصــفكنّ وعُطلُ الكتب
وأنتنّ فى الهــاجـرات الظلالُ   كــأنّ أعــاليَكن العــبــب
وأنتن فـى البـيـد شـاةُ المعـيلِ   جَناها بجـانبِ أخــرى حلَب
وأنتن فـى عَـرَصـات القـصـور   حسـانُ الدُّمى الزائنات الرّحب
جناكنّ كــالكرْم شــتى المذاقِ   وكــالشــهــد فى كلُّلون يُحَب

* * .*

٥٤ـ إلى غـــانــدى

سـلامُ النيل ياغنْدِى ... وهـذا الـزهـرُ مـن عـنـدى
وإجـلالٌ مـن الأهـرا ... م والـكرنْكِ والـبَـرْدِى
ومن مـشـيـخـةِ الوادى ... ومـن أشـبـالـهِ المُردِ
سـلامٌ حـالبَ الشـاةِ ... سـلامٌ غـازلَ البُـرْدِ
ومَـن صَـدَّ عـن المِلحِ ... ولم يُقْـبِل على الشُّـهـد
ومَنْ يَـرْكبُ سـاقَـيْـهِ ... مـن الـهـنـدِ إلـى الـسِّنْـد
سـلامٌ كلمـا صلَّيْتَ عُـريانـاً وفى اللبّـد
وفـى زاويـةِ الـسـجـن ... وفـى سلسِلةِ القَـيْـدِ
مـن (المائِدة الخـضْـرَا ... ء) (١) خُـذ حِـذْرَكَ ياغنْدِى
ولاحـظ ورق «الـسَّـيـرِ» ... ومـا فـى ورق «اللـوردِ»

---

(١) يشير إلى المؤتمر الذى كان مسافراً إليه للبحث فى دستور الهند.

وكُنْ أَبرَع مَن يَلعَبُ بالشَّطْرَنْجِ والنَرْدْ

ولاقى العبقريَّينَ	لِقاءَ الند للِند
وقل هاتوا أفاعيكم	أتى الحاوى من الهند!
وعُدْ لم تحفل الذَّامَ	ولم تَغتَرّ بالحمد
فهذا النجمَ لاتَرْقَى	إليه هِمَّةُ النقد

وردَّ الهِنْدَ للأمّة من حدٍ إلى حَدّ

٥٥ـ يَـا شِـرَاعًا وَرَاءَ دِجـلَةَ

«غناها بين يدى ملك العراق المغفور له فيصل الأول الموسيقار محمد عبد الوهاب بمناسبة زيارته لتلك البلاد فى سنة ١٩٣١»

ياشراعاً وراءَ دجلة يَجرى | فى دموعى تجنَّبَتكَ العوادى
سِر على الماء كالمسيح رُويداً | واجرْ فى اليمّ كالشعاع الهادى
و أتِ قاعًا كرفرفِ الخلدِ طيباً | أو كفردَوْسهِ بشاشةَ وادى
قِف تمهَّلْ وخُذ أماناً لقلبى | من عيون المَها وراءَ السوَّادِ
والنُّواسِىُّ والنَّدامَى أمنهم | سامرٌ يملأ الدجَى أو نَادِ
خَطرَتْ فوقه المهارةُ تعدو | فى غُبارِ الآباءِ والأجداد
أمةٌ تنشئ الحياةَ وتَبنى | كبِناء الأبوَّةِ الأمجاد
تحتَ تاجٍ من القرابة والملْـ | ـكِ على فرْقِ أريحَىٍ جواد

ملك الشطِّ والفراتيْنِ والبطحاءِ أعظِمْ بفيْصَلٍ والبلاد

٥٦ـ الرجلُ السعيد(١)

«وهى ترجمة أبيات فرنسية عنوانها: L'homme hereux لسمو الأمير حيدر فاضل»

عَفيفُ الجَهْر والهمْسِ ... قضى الواجِبَ بالأمْسِ
ولم يَعْرضْ لِذِى حقّ ... بنُقصانٍ ولا بخْس
وعِندَ الناس مجهولٌ ... وفى ألْسُنِهِمْ مَنسِى
وفيه رقةُ القَلبِ ... لآلام بنى الجنْسِ
فلا يَغْبطُ ذا نُعْمى ... ويَرثِى لأخِى البُؤسِ
وللمحرومِ والعافى ... حَوَالَىْ زادِهِ كُرْسِى
وما نمٌ، ولا هَمٌ ... بِبَعْضِ الكيدِ والدسٍّ
ينامُ الليلَ مَسرورا ... قليلَ الهَمِّ والهَجْسِ
ويُصبِحُ لا غُبارَ على ... سَريَرتِهِ، كما يُمسى

(١) نشرت فى مجلة الكشكول سنة ١٩٢٥.

فيا أسعدَ من يَمشى   على الأرضِ مِنَ الإنْس
ومن طَهَّرهُ اللّهُ   من الريبةِ والرِّجْسِ
أنِلْ قَدْرِىَ تشريفاً   وهَبْ لى قُرْبَكَ القدسِى
عسى نَفسُكَ أن تُدمج فى أحلامِها نَفسى
فالْقَى بعض ما تَلْقى   من الغِبطةِ والأنسِ!

٥٧ـ أم كلثوم(*)

سلوا كؤوس الطلا هل لامست فاها
واستخبروا الراح هل مست ثناياها
باتت على الروض تسقينا بصافية
لا للسلاف ولا للورد رياها
ما ضر لو جعلت كاسي مراشفها
ولو سقتني بصاف من حمياها
حديثها السحر إلا أنه نغم
جرى على فم داود فغناها
ألقت إلى الليل جيدا نافراً ورمت
إليه أذنا وحارت فيه عيناها

* لم تنشر فى «الشوقيات».

وعـادهـا الشـوق للأحـبـاب فـانبـعـثت

تبكى وتهـــتف أحـــيــانا بشكواها

يا جـــارة الأيك أيام الـهـــوى ذهبت

كــــالحلم آهاً لأيـام الـهـــوى آها

٥٨ ـ النيل نجاشى:

النيل نجاشى حليوه أسمر عجب للونه دهب ومرمر
أرغوله فى إيده يسبح لسيده
حياة بلادنا يارب زيده
قالت غرامى فى فلوكه وساعة نزهة ع الميه
لمحت ع البعد حمامة رايحة على الميه وجايه
وقفت أنادى الفلايكى تعالى من فضلك خدنا
رد الفلايكى بصوت ملايكى قال مرحبابكم مرحبتين
دى ستنا وانتا سيدنا
جات الفلوكة والملاح ونزلنا وركبنا
حمامة بيضا بفرد جناح تودينا وتجيبنا
ودارت الألحان والراح وسمعنا وشربنا
صلح لى قلوعك ياريس
هيلا هوب هيلا

٥٩ـ فى الليل لما خلى :

فى الليل لما خلى إلا من الباكى
والنوح على الدوح حلى للصارخ الشاكى
ما تعرف المبتلى فى الروض من الحاكى
سكون ووحشة وظلمة وليل ماالوش آخر
ونجمة مالت ونجمة حلفت لتتاخر
دا النوم ياليل نعمة يحلم بها الساهر
الفجر شأشأ وفاض على سواد الخميلة
لمح كلمح البياض من العيون الكحيلة
والليل سرح فى الرياض أدهم بغرة جميلة
هنا نواح ع الغصون وهناك بكا فى المضاجع
ليه تشتكى النوم عيون وعيون سوادى هواجع
ياليل أنينى سمعته والشوق برح بى وعاد
وكل جرح وسعته وكل جرح بميعاد
هل من مفارق رجعته وشوق وهجر وبعاد

٦٠ ـ بلبـل حيــران

بلبل حيـران على الغصـون شـجى مُـعَنّى بالورد هايم
سكب لحــونه من الشــجـون بـكـى وغـنـى والـورد نـايـم
سكـران بغـــيــــر الكاس فـى مــــجلس الورد
مـن عـنبـــر الأنفـــاس ومــنـظـر الخـــــد
يـبص فـــوقـــه ويـبص تحــــتـــه
يمــــد طـوقـــه يشم ريحــتـــه
فــى إيـد الـلـيـل يـــلـــعـــب بـــه
وراه الـــويـــل يـا قـلــبـــه
مـن فــرع غـــصـنـه ع الـورد مـــال
وراح يـمــــينـه وجـــه شـــمـــال
قـــال لـه يا ســـوسن يـــا تمــر حــنـــة
يـاورد أحـــســـن مـــن ورد جــنـــة

مـــــين بـالفـــــرح لونك ومـن الشـــفق كـــونك
ياريحــــة الحـــبـــايب يـا خــــــــــد المـلاح
لشـــوكـــة جــمـــالك وضــــعت الســـــلاح
تـبـــــارك الـلى خـلق ظلـك من الخـــفـــة
واللى كـــســـاك الورق ولفُّـــــه دى الـلَّفَّـــة
زى الـقــــبـــل ولّـفـت شـــفَّـــة على شــفَّـــة
يـاورد فـــــوق لا الجـنـاح ينهض ولا الجـــرح يرقـى
تشـوفنى فى وقت الصـبـاح جـــســـد على الأرض ملقى
أمـــوت شــهـــيـد الجـراح ويعـــيش جـمــالك ويبـقـى

٦١ ـ سجا الليل
(قيس)

سجا الليل حتى هاج لى الشعرَ والهوى
وما البيدُ إلا الليلُ والشعرُ والحبُّ
ملأت سماءِ البيدِ عشقا وأرضهَا
وحُمِّلتُ وحدى ذلك العشقَ ياربُّ
ألَمَّ على أبيات ليلى بىَ الهوى
وما غيرَ أشواقى دليلٌ ولا ركبُ
وباتت خيامى خُطوة من خيامها
فلم يَشفنى منها جوار ولا قرب
إذا طاف قلبى حولها جُنَّ شوقُه
كذلك يُطفِى الغُلَّةَ المنهلُ العذب.
يحن إذا شطَّت ويصبو إذا دنت
فياويح قلبى كم يحن وكم يصبو

وأرسلنى أهلى وقـــالوا امض فـــالتـــمس

لنا قـــبـــســـا من أهل ليلى ومـــا شـــبّـــوا

عـــفـــا اللّه عن ليلى لقـــد نوّتْ بالذى

تحـــــــمّـلَ من ليلى ومن نـارهـا الـقـلـبُ

٦٢ ـ الأسباب الملفقة
(قيس)

ليلى!

«المهدى: خارجا من الخباء»

من الهاتفُ الداعى؟ أقيس أرى؟ ماذا وقوفُك والفتيان قد ساروا

«قيس: خجلا»

ما كنتُ يا عمٌ فيهم

«المهدى: دهشا»

أين كنت إذن؟

«قيس»

فى الدار حتى خلَتْ من نارنا الدار

ما كان من حطب جَزْلٍ بساحتها أوْدى الرياحُ به والضيفُ والجار

«المهدى ـ مناديا»

ليلى ـ انتظر قيس ـ ليلى

«ليلى - من اقصى الخباء»

ما وراء أبى؟

«المهدى»

هذا ابن عــمك مــا فى بيــتــهم نار

«تظهر ليلى على باب الخباء»

«ليلى»

قــيس ابن عــمى عندنا   يا مــرحــبــا يا مــرحــبــا

«قيس»

مُــتِّــعتِ ليلى بالحــيــا   ة وبَلــغْت الأربــا

«ليلى: تنادى جاريتها بينما يختفى ابوها فى الخباء»

عفراء

«عفراء - ملبية نداء مولاتها»

مولاتى

«ليلى»

تعالَىْ نقضِ حقا وجبا

خـــذى وعـــاء واملئـــيــه لابن عـــمى حطبـــا

«تخرج عفراء وتتبعها ليلى»

«قيس»

بالروح ليلى قــضت لى حــاجــةً عــرضت

مــا ضــرها لو قــضت للقلب حــاجــاتِ

مــضت لأبيــاتهــا ترتاد لى قـــبـســـا

والنار يا رُوحَ قـــيسٍ ملء أبيـــاتى

كم جـــئتُ ليلى بأســبـــاب ملفـــقـــة

مـــا كـــان أكـثـــر أســبـــابى وعــلاتى

«تدخل ليلى»

«ليلى»

قيس

«قيس»

لـيــلى بجـــانبى　　كلُّ شـيئٍ إذن حـضــرْ

«ليلى»

جـمعـتنا فـأحـسنت　　سـاعـــةٌ تَفْضُلُ العُـمُـر

«قيس»

أتجدِّين؟

«ليلى»

مـــافــــــؤا　　دى حَـديدٌ ولا حـــجــر

لك قلبٌ فـسله يا قـيس　　يـــنْبِئْكَ بالخـبــر

قـدْ تحـملتُ فى الهـوى　　فـوق مـا يحـمل البـشــر

«قيس»

لســتُ ليـــلاى داريــا　　كـيف أشكو وأنفـجِـر؟

أشــــرح الشـــوقَ كله　　أم من الشـوق أخـتـصـرِ؟

«ليلى»

نبِّنى قــيسُ مـــا الذى　　لك فى البــيــد من وطر؟

لك فــيــهــا قــصــائدٌ　　جــاوزَتْهــا إلى الحــضــر

كُلُّ ظبـــىٍ لقــيــتــه　　صُــغت فى جــيــده الدرر

أتُرى قـــــد سـلوْتـنـا　　وعــشــقت المهَــا الأخــر؟

«قيس»

غـــــرت ليلى من المهَـــا　　والمهـــا منك لم تَـغَـــر

حـبَّب البــيـــدَ أنـــهـــا　　بكِ مـصـبـوغَـةُ الصُّوَرْ

لسـت كـالـــــغِـيـد لاولا　　قـمـرُ البـيـد كـالقـمـر

«ليلى: وقد رات النار تكاد تصل إلى كم قيس»

ويحَ عينىَّ ما أرى　　قيس!

«قيس»

ليلى

«ليلى: مشفقة»

خذ الحذر!

«قيس: غير آبه إلا لما كان فيه من نجوى»

رُبَّ فــجـر ســألتُــه　　هـل تنفـستِ فـى السـحَـر

ورياح حـسِـبْـتُــهــا　　جـــــــرَّرَت ذيلَك العِطر

وغــزالٍ جـــفُـــونهُ　　سـرقت عـينكِ الحَـــوَر

«ليلى»

إطرح النارَ يافـــتى أنت غـــادٍ على خطر
لهبُ النار قـــيسُ في كـمك الأيمن انتـشـر

«قيس: مستمرا بعد ان رمى النار من يديه»

وذئابٍ أرقُّ ياليـــلُ من أهلِك الغُـيُــر
أنِسَتْ بى ومـرّغت فى يدى الناب والظُّفُـر

«ليلى»

ويح قـيس تحـرقت راحـتـاه ومـا شَـعَـرْ

«قيس»

أنت أجّجت فى الحـشَـا لاعجَ الشوقِ فاستـعَرْ
ثم تخشَيْنَ جـمرةً تأكلُ الجلـد والشَّعَر

«يترنح قيس فى موقفه وتظهر عليه بوادر الإغماء»

«ليلى»

فِدَاك أبى قيس، ماذا دَهاك؟ تكلم، أَبِنْ قيس، ماذا تجد

«قيس»

أحسُّ بعيني قد غامتا وساقىّ لا تحمِلان الجسدْ

«يخر صريعاً إلى الارض فتتلقاه على صدرها صارخة»

«ليلى»

يالأبى للجار قيس صريعُ النارْ مُلقىً بصَحن الدارْ!

«يخرج أبوها من الخباء على صوت استغاثتها»

أبى هـا أنـت ذاجـــــئت　　أغـثـنـا أبـتـى أدركْ
لقـــــد حـُــــرِّق بـالنـــارِ　　فمـا يصحـو إذا حُرِّك

«المهدى»

يرانا الناسُ يا ليلى

«ليلى»

أبى أنْفِ الـنـاسَ من فِـكرك
هنا لا تقعُ الـــعــــينُ　　على غـيـرى ولا غـيـرك
ولا يَـــطْلُع إنـســـانٌ　　على ســـرى ولا سِـــرك
ولا أجـــدر من قـــيس　　بـاشـــفـــاقك أو برك
أبى صــــدرىَ لا يقـــوى　　فــأسندْه إلى صـــدرك

«المهدى - وهو يتلقى عنها جسد قيس ويحاول إنعاشه»

رعــــــاك الله يا ليلى　　وكـــافــاك على صـبـرك
أخـافُ النـاسَ فى أمـرى　　وأخـشى القلبَ فى أمـرك
وكـــم داريت يـــا ليلى　　وكم مـــهّـدْتُ من عـــذرك
ولست الوالدَ القـــاسى　　ولا الطامعَ فى مـــهـــرك

«يناجى قيسا فى غيبوبته»

أبا المهـــدىِّ عـــوفـــيتَ　　ويا بورك فى عـــمـــرك
أرانى شــــعــرُك الويلَ　　ومـا أروى ســوى شـعـرك

كـــمــــــا لَذَّعلى الكُرِهِ   كـــلامُ الله للمـــشـــرك!

«يتحرك قيس ويبدو عليه كانما يفيق فيناديه»

قيس

«قيس ـ يحاول الوقوف فتسنده ليلى»

لبّيك عمّ

«المهدى»

حــسـبُك فــاذهـبْ   لاتطأ لـى بعــد العــشـّيــة دارا

«ليلى»

أبتى لا تَجُرْ على قيسَ

«المهدى»

لِمْ لا   إن قيسا على القرابةِ جارا

«ليلى»

أبتى ما تراه كالفَنَن الذا   وى نُحولا والمَغيب اصفرارا؟

وتـأمـلْ رداءَه ويـــــديهْ   تجـــــدِ النارَ أو تـرَ الآثـارا

أبتى دَعْه يَسترحْ

«المهدى»

بل دعينا   لا تزيدى ياليلَ سُخطى انفجارا

«قيس»

حسبُ يا ليلَ، حسبُ ذلا لعمّى   وكفى حِلفةٌ له واعتذارا

عمٌ ماذا جنيت؟

«ليلى»

ما جنى قيس

«المهدى»

نسيتِ الرُّواةَ والأخبارا؟

«قيس»

إنهم يأفِكون يا عمّ

«المهدى»

والغَيلُ أليلاً غشيتَه أم نهارا؟

ما الذى كان ليلةَ الغَيْل حتى   قلتَ فيها النَّسيبَ والأشعارا؟

«قيس»

لم تكنْ وحدَها ولا كنت وحدى

إنما نحن فِتيةٌ وعَذارى

جمعتنا خمائلُ الغيل بالليل   كما يجمعُ الحمى السُّمّارا

ليسَ غيرَ السلامِ ثم افترَقنا   ذهبتْ يَمنةً وسِرتُ يسارا

«المهدى»

إمض يا قيس إمض لا تكسُ ليلى   كلَّ حينٍ فضيحةً وشنارا

فكأنى بقصة النار تروى   وكأنى بذلك الشعر سارا

وكأنى ارتديتُ فى الحى ذلا   وتجللتُ فى القبائل عارا

إمض قيسُ أمضِ

«قيس»

عـــمٌّ رفــقًــا بلـــــــــيلى   وبقـــيس ولا تكن جـــبـــارا
الحـذَارَ الحـِذَارَ من غـضب الله   ومن سُـخطه الحـذار الحـذارا

«المهدى»

إمض قيس امض جئت تطلب ناراً

أم ترى جئتَ تُشعلُ البيتَ نارا؟

«يخرج قيس»

ستـــار

٦٣ ـ تلفتت ظبية الوادى

تلفتت ظبية الوادى فقلت لها لا اللحظ فاتك من ليلى ولا الجيد

«يفيق قيس ثم يتلفت مصغيا إلى الحداء»

«قيس»

ليلى! مناد دعا ليلى فخفَّ له نَشوانُ فى جنبات الصدر عِربيدُ

ليلى! انظروا البيد! هل مادت بأهلِها

وهل ترنَّمَ فى المزمار داودُ

ليلى! نداءً رنَّ فى أذنى سحرٌ لعمرى له فى السمع ترديدُ

ليلى تَردَّدُ فى سمعى وفى خلدى كما تَردَّدُ فى الأيك الأغاريدُ

هل المنادون أهلوها وإخوتُها أم المنادون عشاقٌ معاميدُ

إن يَشركونى فى ليلى فلا رجعَتْ جبالُ نجدٍ لهم صوتا ولا البيدُ

أغيرَ ليلاى نادَوْا أم بها هتفوا فداء ليلى الليالى الخُرَّدُ الغيدُ

إذا سمعت اسم ليلى ثُبت من خَبَلى		وثابَ ما صَرَعتْ منى العناقيدُ
كسا النداءَ اسمُها حسنا وحبَّبَه		حتى كأن اسمهَا البشرى أو العيد
ليلى! لعلىَّ مجنونٌ يُخيَّلُ لى؟		لا الحى نادوْا على ليلى ولا نُودوا

٦٤ ـ شكوى ليلى وقيس
«ليلى»

أأدركتَ أن السهمَ يا قيسُ واحدٌ وأنّا كلينْا للهوى هدفان؟
كلانا قيسُ مَذبوحٌ قتيلُ الأبِ والأمِّ
طعينان بسكّينٍ من العادة والوهم
لقد زُوِّجْتُ ممّن لم يكن ذوقى ولا طَعْمى
ومن يكبُرُ عن سنّى ومن يصغُرُ عن علمى
غريبٌ لامن الحىِّ ولا من وَلد العمِّ
ولا ثروتُه تَربِى على مال أبى الجَمِّ
فنحن اليومَ فى بيت على ضِدَّيْن مُنضَمٍّ
هو السجنُ وقد لا ينطـ ـطوى السجنُ على ظلم
هو القبرُ حوى مَيْتـ ـين جارْين على الرّغم
شتيتيْن وإن لم يَبـ ـعُد العَظْمُ من العَظم
فإن القربَ بالرُّوحِ وليس القربُ بالجسم

«قيس»

تعالىْ نعِشْ يا ليلَ فى ظل قَفْرةٍ — من البيد لم تُنقَل بها قدمان
تعالىْ الى وادٍ خَلِيٍّ وجَدوْلٍ — ورنَّةِ عُصفورٍ وأيْكَةِ بان
تعالى الى ذكرى الصبًّا وجنونه — وأحلام عيشٍ منْ دَدٍ وأمان
فكم قُبلة يا ليل فى مُتْعة الصبًا — وقبلَ الهوى ليست بذات معان
أخذْنا وأعطيْنا إذ البَهْمُ ترتعى — وإذ نحن خلف البَهْم مستتران
ولم نكُ ندرى يومَ ذلك ما الهوى — ولا ما يعودُ القلبَ من خفقان
مُنَى النفس ليلى قَرِّبى فاك من فمى — كما لفَّ مِنقاريْهما غَرِدان
نَذُق قُبلةً لا يعرِف البؤسَ بعدها — ولا السُّقمَ رُوحانا ولا الجسدان
فكلُّ نعيم فى الحياة وغبطة — على شفتينا حين تلتقيان
ويخفُقُ صدرانا خفوقا كأنما — مع القلب قلبٌ فى الجوانح ثان

«تنفر ليلى»

٦٥ ـ جبل التوباد

جبلَ التَّوْباد حيَّاك الحيا   وسقى اللهُ صبانا ورعى
فيكَ ناغيْنا الهوى فى مهده   ورضعْناه فكنتَ المُرضِعا
وحَدوْنا الشمسَ فى مغربها   وبكَرْنا فسبقنا المطلعا
وعلى سفحك عشنا زمنا   ورعينا غنمَ الأهل معا
هذه الرّبوةُ كانت مَلعباً   لشبابينا وكانت مَرْتعا
كم بنيْنا من حصاها أربُعاً   وانثنينا فمحونا الأربُعا
وخططْنا فى نقا الرمل فلم   تحفَظِ الريحُ ولا الرملُ وعى
لم تَزَلْ ليلى بعينى طفلةً   لم تزدِ عن أمسِ إلا إصبَعا
ما لأحجاركَ صُمًّا كلما   هاج بى الشوقُ أبتْ أن تسمعا
كلما جئتُكَ راجعتُ الصبا   فأبتْ أيامُه أن ترجِعا
قد يهونُ العُمرُ إلا ساعةً   وتهونُ الأرض إلا مَوْضعا

من مصرع كيلو باترا

٦٦ ـ المشهد الافتتاحي

المنظر الأول

«فى مكتبة قصر كليوباترا -
حابى وديون وليسياس جلوس
إلى عملهم. يسمع جماعة من العامة
خارج القصر ينشدون هذا النشيد»

يومُنا فى أكتيوما ذكْره فى الأرض سأر
إسألوا أسطولَ روما هل أذقناه الدَّمار!
أحرز الأسطولُ نصرا هزَّ أعطافَ الدِّيار
شرفاً أسطولَ مصرا حُزْتَ غايات الفَخار
صارت الإسكندرية هى فى البحر المنار
ولها تاج البرية ولها عرش البحار

حـابـى :

إسـمع الشـعبَ (دُيونُ) كـيف يُوحـون إليـه
مـلأ الجـوُّ هُتـافـاً بحـيـاتىْ قـاتليْـه
أثَّر البـهـتـانُ فـيـه وانطلى الزور عليـه
يا لـه من بَبَّـغـاء عـقله فى أذنيـه

ديـون :

حـابى، سـمـعتُ وراعنى أن الرُّميَّة تحتفى بالرامى
هتفوا بمن شرب الطِّلافى تاجهم وأصار عرشَهمُ فراشَ غرام
ومشى على تاريخهم مستهزئاً ولو استطاع مشى على الأهرام

٦٧ـ أنــا أنطونيو

أياس [مغنيا] :

أنا أنطونيــو وأنطونيــو أنا ... مــا لرُوحــيْنا عن الحب غنَى

غنِّنا فى الشــوق أو غنٍّ بنا ... نحن فى الحب حـديثٌ بعـدنا

رَجَّعتْ عن شَجونا الريحُ الحنونْ ... وبعــينينا بكَى المُزْنُ الهَـتـونْ

وبَعـثنا من نفـاثاتِ الشُّجـونْ ... فى حـواشى الليل بَرقـاً وسَنَى

خَبِّرى يا كـأسُ واشـهدْ يا وتَرْ ... وارْوِ يا ليلُ وحـدِّثْ يا سـحـرْ

هل جَنيْنا من رُبا الأنس السَّمَرْ ... ورشــفنا من دَواليــهـا المُنَى

الحـيـاةُ الحبُّ والحبُّ الحـيـاه ... هو من سرْحـتـهـا سرُّ النَّواه

وعلى صحْرائـهـا مَـرَّتْ يداه ... فـجــرتْ مــاءً وظلاً وجَنَى

نحن شــعــرٌ وأغــانىُّ غــدا ... بهــوانا راكبُ البـيــد حـدا

وبنـا الملاحُ فى اليمّ شـــدا ... ويكَى الطيــرُ وغَنَّى مَــوْهنا

من يكن فى الحب ضحى بالكرىَ ... أو بمسْـفـوح من الدمع جرىَ

نحن قَـــرَّبنا لـه مُلْكَ الثـــرى   ولَقـــينا الموتَ فـــيـــه هيِّنا
فى الـهوى لـم نالُ جُـهْدَ المؤثر   وذهبنا مَـثـلاً فى الأعـصُـر
هو أعطى الحبُّ تاجْى قـيصر   لم لا أعطى الهـوى تاجىْ مِنَا

٦٨ ـ كليوباترا تودع الحياة

هَلُمِّى الآن مُنقــذتى هَلُمِّى		وأهلا بالخلاص وقد سعى لى
شَرَيْتُ السم من فيك المفَدَّى		بسلطانى وزدتُ عليه مـالى
على نابيْك من زُرق المنايا		شفاءُ النفس من سُود الليالى
وبعضُ السم ترياقٌ لبعض		وقد يَشفى العُضالُ من العُضال
دعوتُ الراحةَ الكبرى فلبتْ		فبُعداً للحياة وللنِّضال
هَلُمِّى عانقى أفعى قصور		بها شوقٌ إلى أفعى التلال
سَطتْ روما على مُلكى ولَصَّتْ		جواهرَ أسرتى وحُلىَّ آلى
فرُمتُ الموتَ لم أجبُنْ ولكن		لعلَّ جلالهَ يَحمى جلالى
فلا تَمشى على تاجى ولكن		على جسد ببطن الأرض بالى
وقد علم البريةُ أن تاجى		نَمتْه الشمسُ والأسرُ العوالى
يُطالبُنى به وطنٌ عزيزٌ		وآباءٌ ودائعُهم غوالى
أأدخلُ فى ثياب الذل روما		وأُعرَضُ كالسَّبىِّ على الرجال ؟

وأُحـدَج بالشـمـاتة عن يمينى ويَعرض لى التهكُم عن شمالى؟
وألقَىَ فى النّدىِّ شـيـوخَ رومـا مكانُ التـاج من فَـرْقَىُّ خـالى؟
وأغـشى السـجن تاركـةً ورائى قصورَ العزّ والغُرَفَ الحوالى؟
وتحكُم فّى رومـا وهى خَصـمى وتُسـرفُ فى العـقـوبة والنَّكال
يَرانى فى الحبـائل مُـترَفـوها وقد كـان القيـاصرُ فى حبـالى
إذن غـيـرُ الملوك أبى وجَـدِّى وغَـيُـر طرازهم عَـمِّى وخـالى
ســأنزلُ غـيـرَ هائبـة إذا مـا تـلـمَّظت المنيّــــةُ لـلـنزال
أموتُ كما حَييتُ لعرش مصرٍ وأبذُلُ دُونه عـرشَ الجـمـال
حــيـــاةُ الذلِّ تُدْفَعُ بالمنايا تَعـالىْ حَـيَّـةَ الوادى تعـالى

المحتويات

من خارج الشوقيات

من مجنون ليلى

من مصرع كليوباترا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع : ١١٣٩٧ / ٢٠٠٢

I.S.B.N 977 - 01 - 7889 - 6



لقد أدركنا منذ البداية
أن تكوين ثقافة المجتمع
تبدأ بتأصيل عادة
القراءة، وحب المعرفة، وأن
المعرفة وسيلتها الأساسية
هى الكتاب، وأن الحق في
القراءة يماثل تماماً الحق
فى التعليم والحق فى
الصحة.. بل الحق فى
الحياة نفسها.

سوزان مبارك